الضوء الألمع

على

القواعد الأربع

الطبعة الثانية تصويبات وزيادات

الضَّوْءُ الأَلْمَعِ

عَلَى

القَوَاعِدِ الأَرْبَعِ

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

شرح

أبي المنذر

سليم بن أحمد بن محمد الصباحي الرداعي الصنعاني

وَفَّقَهُ اللهُ

تقديمُ فضيلة الشيخ

أبي بلال خالد بن عبود الحضرمي

حَفِظَهُ اللهُ

772006613 - 715273115 - 730304934

كل الحقوق محفوظة

مقدمة
فضيلة الشيخ أبي بلال الحضرمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد:

فقد قرأت شرح أخينا **الشيخ الفاضل أبي المنذر سليم بن أحمد الرداعي** – حفظه الله– على القواعد الأربع، للإمام المجدد فريد عصرة نسيج وحده، الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي–رحمه الله– فألفيته شرحًا مفيدًا نافعًا– إن شاء الله– ، لا سيما وقد امتاز هذا الشرح بكثرة النقولات عن العلماء في بيان ما يتعلق بالقواعد الأربع، خصوصا لشيخي الإسلام ابن تيمية، وابن القيم –رحمهما الله–

وقد سمى شرحه بـ(**التاج المرصع على القواعد الأربع**). ([1])

فنسأل الله أن ينفع بهذا الشرح الجميل، وأن يكتب أجره لمؤلفه.

✍كتبه: **أبو بلال الحضرمي خالد بن عبود باعامر.**

١١/ رمضان/ ١٤٤٢هـ

المقدمة:

الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

---

[1] () هذا العنوان للكتاب كان في بداية الأمر، ثم تبين لي أن الشيخ تركي العبديني له شرح على القواعد الأربع بهذا العنوان مما حدا بي إلى تغيير عنوان الكتاب إلى "**الضوء الألمع على القواعد الأربع**".

فإن أصدق الحديث كتابُ الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن توحيد الله -عز وجل- وإفراده بالعبادة، وإثبات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من نعوت الجلال، وصفات الكمال، ومحبة أوليائه، ومعادات أعدائه، والبراءة منهم، ومن أفعالهم، هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

وقد بعث الله تعالى بذلك أنبياءه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة:٢١]، ولذلك كان كل رسول يقول لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٥٩]، كما قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٥٩]، إلى آخرهم، وهو نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

فعلى هذا: لا بد من تعلّم التوحيد، والعمل به، ومعرفة ما يضاده وتركه، والبراءة منه؛ حتى يقوم الإنسان بدين الإسلام الذي كلّفه الله تعالى به.

وقد قال الله تعالى -لأفضل الرسل وخاتمهم، وسيد ولد آدم، نبينا محمد ﷺ-: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد]، وهذه الآية الكريمة ينبغي لكل مسلم أن يقف عندها ويتدبرها، فإذا كان الرسول ﷺ وهو من هو يأمره ربه -عز وجل- بالعلم بأن لا إله إلا الله، إذًا ما بالك بغيره، ومن المعلوم أن هذه الآية ليست هي أول ما نزل، بل سبقتها آيات، وسور قبلها؛ لأن سورة محمد ﷺ التي فيها هذه الآية مدنية.

وقد أمر ربنا -عز وجل- نبيه ﷺ في آيات كثيرة بتوحيد الله -عز وجل-، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ ﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ [الإخلاص]، إلى غير ذلك من النصوص التي فيها الأمر للرسول ﷺ بتوحيد الله تعالى وعبادته.

وقال الله تعالى -محذرًا نبيه ﷺ والأنبياء صلى الله عليهم وسلم من قبله من الوقوع في الشرك-: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر].

قال ابن جرير رحمه الله -رَحِمَهُ اللَّهُ- عند تفسيره هذه الآية-: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد، ربك، ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الرسل: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، يقول: لئن أشركت بالله شيئًا يا محمد ليبطلن عملك، ولا تنال به ثوابًا، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله...، ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الرسل من ذلك مثل الذي أوحي إليك منه؛ فاحذر أن تشرك بالله شيئًا فتهلك. اهـ

وقد خاف خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام أن يقع في الشرك، قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم]، مع أن إبراهيم عليه السلام هو الذي كسّر الأصنام بيده، وهو الذي أراد أن يذبح ابنه؛ طاعة لربه، ومع ذلك خاف أن يقع في عبادة الأصنام، فكيف بغيره؟!.

ولذلك قال مغيرة -وهو ابن مقسم الضبي-: كان إبراهيم التميمي يقص

ويقول -في قصصه-: من يأمن البلاء بعد خليل الله إبراهيم. ([1])

وقد خاف نبينا محمد ﷺ على أمته الوقوع في الشرك، وحذّرهم منه، فقد روى أحمد، والطبراني، عن أبي علي -رجل من بني كاهل- قال: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ. فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَزْنٍ، وَقَيْسُ بْنُ الْمُضَارِبِ فَقَالَا: وَاللهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قُلْتَ، أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عُمَرَ مَأْذُونٌ لَنَا أَوْ غَيْرُ مَأْذُونٍ، قَالَ: بَلْ أَخْرُجُ مِمَّا قُلْتُ، خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**». فَقَالَ لَهُ: مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ، وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللهِ؟!، قَالَ: قُولُوا: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ**». وقال الألباني: حسن لغيره. ([2])

فوجب الجد في الدعوة الى توحيد الله.

---

[1] () أخرجه ابن جرير (١٣/ ٢٢٨)، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في "الدر المنثور" (٥/ ٤٦).

[2] () "صحيح الترغيب والترهيب" (١/ ٩).

نصائح لإتقان الدروس

إذا أردت -أيها الطالب- أن تتقن فنًا من فنون العلم -علم الكتاب والسنة بعد توفيق الله – فعليك بأمور:

أحدها: الإخلاص لله سبحانه وتعالى.

ثانيها: الاستعانة بالله -تبارك وتعالى- على فهم هذا الفن.

ثالثها: التضرع الى الله تعالى.

رابعها: الحرص على قراءة درسك قبل إتيانه.

خامسها: مراجعة الدرس بعد الانتهاء منه.

سادسها: كتابة الدروس وترتيبها.

سابعها: حفظ متن من المتون لكل فن، كما قال الرحبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "رحبيته":

.... **فاحفظ فكل حافظ إمامُ.**

ثامنها: عدم التغيب عن الدروس؛ لأن كثرة التغيب يسبب الملل.

تاسعها: القرب من المعلم.

كلمة شكر

فهذا شرح لكتاب **"القواعد الأربع"** للعلامة محمد النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ مساهمة في نشر الخير، وقد كان عبارة عن دروس -في الضحى- في دار الحديث السلفية بالحامي -حرسها الله، وحرس جميع مراكز ومساجد أهل السنة-، فشكر الله لشيخنا: أبي بلال لحضرمي على إيوائه، وتشجيعه، وتعليمه لنا، وشكر الله لأهل البلد الذين يتعاونون معه.

ثم قام أحد الإخوة الأكارم بكتابتها، ورغب في نشرها، فاستجبت لذلك علّ الله أن ينفع بها، كما نفع بأصل الكتاب، ولاشك أن شروحات هذا الكتاب كثيرة، وهذا مساهمة مني في ذلك، والبركة من الله، وقد توجته بالنقولات عن أهل العلم.

وشرح هذا الكتاب هو استجابة لنصيحة شيخنا يحيى الحجوري -حفظه الله- لي، فقد يسر الله لي بحج بيته الحرام في عام (١٤٣٨هـ)، والتقيت به -حفظه الله-، وسألني هل عندكم بحوث؟ قلت: نُشغل بالتدريس، فقال: اجعل التدريس تأليفًا. فاستعنت بالله، وأخذت بنصحه الجميل. فشاء الله أن أكتب بعض الرسائل، ومنها هذا الشرح على هذا الكتاب.

فأسأل الله أن يبارك لنا فيما شرحناه، ويغفر لي ولوالدي، ولمشايخي، ولسائر

المسلمين.

هذا وأشكر الله -سبحانه وتعالى- الذي حبب لي طلب العلم، والتفقه في دينه، وأسأل الله أن يفقهنا في ديننا حتى الممات، وأسال الله أن يبارك في كل من كان سببا بعد الله في تعليمنا، وتوجيهنا، ونصحنا، وعلى رأسهم شيخنا العلامة المحدث يحيى بن علي الحجوري -أطال الله عمره في طاعته، ومتع الأمة بعلومه -،

وهكذا، أسأل الله أن يرحم شيخنا عبد الرقيب بن علي الكوكباني –رحمه الله ([1])- فله علينا منة بعد الله في تدريسه لنا ما شاء الله من الدروس الطيبة العلمية، النافعة المحضرة، وحفظ كتاب الله، وما يسره الله من سنة رسوله ﷺ.

✍ **كتبه**:

أبو المنذر سليم بن أحمد بن محمد الصباحي

دار الحديث بالحامي.

وراجعته بدار الحديث بالعمود في مكتبة شيخنا يحيى.

٢/ ذي الحجة/ ١٤٤٢هـ

[1] () مات رحمه الله في بلاد ماليزيا في يوم الثلاثاء الثامن محرم ١٤٤٣هجرية بسبب مرض ألم به عدم القدرة على التنفس ودفن فيها فرحمة الله تغشاه قال فيه شيخنا يحيى الحجوري في دماج ثلاثة كانوا هنا(أي بدماج) على خير فلما خرجوا ازداد خيرهم الدبعي والإرياني والكوكباني

ترجمة المؤلف

اسمه:

هو الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر، من أوهبة بني تميم.

مولده ونشأته:

وُلد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة: (١١١٥هـ)، في بلدة العيينة من أرض نجد، ونشأ فيها، وقرأ القرآن بها قبل بلوغه العشر، وكان حاد الفهم، سريع الإدراك، يتعجب أهله من فطنته وذكائه، ثم اشتغل بالعلم وجدَّ في طلبه، وبعد بلوغه قدّمه والده إمامًا في الصلاة، ثم حج فقضى فريضة الإسلام، ثم قصد المدينة وأقام بها شهرين، ثم رجع إلى وطنه واشتغل بالقراءة على مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم رحل في طلب العلم وزاحم العلماء الكبار، ورحل إلى البصرة والحجاز مرارًا، واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ الأحبار، وأتى الأحساء وهي إذ ذاك آهلة بالمشايخ والعلماء، فسمع، وناظر، وبحث، واستفاد.

طلبه للعلم:

أخذ العلم عن عدة مشايخ أجلاء، وعلماء فضلاء، ففي نجد: عن أبيه

وغيره، وفي المدينة: عن الشيخ العالم محمد حياة السندي المدني، وعن الشيخ إسماعيل العجلوني وغيرهما، وأخذ عن الشيخ علي أفندي الداغستاني وغيره، وأجازه محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها...

مراحل دعوته:

عندما انتقل والد الشيخ إلى حريملاء -التي كان يعمل فيها قاضيًا- بدأ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ينشر الدعوة إلى التوحيد جاهرًا بها، وذلك سنة: (١١٤٣هـ)، لكنه ما لبث أن غادرها بسبب تآمر نفر من أهلها عليه لقتله.

ثم توجه الشيخ بعدها إلى العيينة، وعرض دعوته على أميرها عثمان بن معمر الذي قام معه بهدم القبور والقباب، وأعانه على رجم امرأة زانية جاءته معترفة بذلك، فلما كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال شكوا إلى شيخهم رئيس بني خالد، فكتب إلى عثمان يأمره بقتله أو إجلائه، فأمر بإجلائه، فخرج الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ منها، وهاجر إلى الدرعية فنزل ضيفًا على عبد الله بن سويلم، ثم انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، فلما سمع بمقدمه الأمير محمد بن سعود رحب به، وبادره بالقبول والتأييد، فمضى الشيخ والأمير في نشر الدعوة حتى عم خيرها أرجاء البلاد، وكان لها الأثر الواضح في حركات الإصلاح التي قامت في نواحي البلاد الإسلامية.

مؤلفاته:

للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مصنفات كثيرة نافعة شهيرة، سارت في الآفاق سيرورة ذُكاء([1]) في الإشراق، منها:

١) "كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد".

٢) "كشف الشبهات".

٣) "مسائل الجاهلية".

٤) "فضائل الإسلام".

٥) "القواعد الأربع" وهي التي بين أيدينا ووووو.

وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجمع مؤلفات الشيخ، وتحقيقها في كتاب واحد هو: "مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب" فجزاهم الله خير الجزاء. ([2])

الجانب العلمي في كتابات الشيخ:

امتازت كتابات إمام الدعوة رَحِمَهُ اللَّهُ بعدة مميزات منها:

١) اعتماده رَحِمَهُ اللَّهُ فيما يقرره بما جاء في الكتاب والسنة، وهذا واضح لمن قرأ

---

[1] () ذكاء: من أسماء الشمس.

[2] ()

كتبه ككتاب التوحيد مثلًا.

٢) أنه يجمع النصوص بعضها مع بعض، ويبوبها ويقعدها، ويستنبط منها الأحكام، ككتاب "فضل الإسلام".

٣) يمتاز أسلوب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الكتابة بسهول العبارة، وتقريب المعنى بيسر وسهولة، وهذه طريقة القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:١٧].

٤) استخدام الأمثال للتبيين والإيضاح، وهذا هو عين منهج القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر:٢١]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف:٣].

٥) استخدام طريقة الحوار والمناظرة في بعض كتبه، وهذا من منهج القرآن الكريم كما في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام:٧٦]، وقصته مع النمرود (١).

٦) تقرير القاعدة التي يتفق هو وخصمه عليها، ومن خلالها يلزمه بنتائجها.

٧) عنايته القصوى ببيان التوحيد وتقريره، وتقعيد عقيدة السلف في توحيد

---

(١) انظر كتاب "استخراج الجدل من القرآن الكريم" لعبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي(٦٥).

العبادة. وهي أهمها.

٨) شفقته بالمتعلم، والدعاء له بالخير، كما في كتاب الأصول الثلاثة، وكتابنا هذا القواعد.

أولاده:

وله رَحِمَهُ اللَّهُ مجموعة من الأولاد منهم: حسن، وحسين، وعبد الله، وعبد العزيز، وكلهم علماء.

أحفاده:

وله رَحِمَهُ اللَّهُ أحفاد كانوا علماء، كسليمان بن عبد الله -قتل مظلومًا-، صاحب "تيسر العزيز الحميد"، وعبد الرحمن بن حسن، صاحب "فتح المجيد"، وكل من تسمع اليوم يقال له: آل الشيخ فهو من أحفاده.

وفاته:

توفي الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الدرعية سنة: (١٢٠٦هـ) يوم الإثنين، آخر شهر شوال، وكان يومًا مشهودًا، تزاحم الناس على سريره، وصلوا عليه في بلدة الدرعية... ([1])

---

[1] () "الدرر السنية" (١٢/ ٢٠).

متن القواعد الأربع

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات]، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦]، وَذَلِكَ

بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

القاعدة الأولى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلامِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس].

القاعدة الثانية: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر]، وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ الله فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ الله، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا

بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

القاعدة الثالثة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت].

وَدَلِيلُ الْمَلائِكَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ ...﴾ الآية [آل عمران: ٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ

ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء].

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ، عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ... الحَدِيثَ.

القاعدة الرابعة: أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت].

تَمَّتْ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

شرح العنوان

القواعد الأربع

قوله: القواعد.

القواعد: في اللغة: جمع قاعدة، وهي بمعنى: أساس الشيء: وهي بمعنى: الأصل. ([١])

واصطلاحًا: عبارة عن قضية كلية تنطبق عليها جزئيات كثيرة؛ تفهم أحكامها منها. ([٢])

قوله: الأربع.

اقتصر المؤلف: على الأربع؛ لأنه لما رأى انتشار الشرك، ورأى الأفعال، وسمع الأقوال الشركية ضبط معرفة المسلم ومعرفة المشرك بهذه القواعد الأربع.

---

[١] () "لسان العرب"، و"المصباح المنير".

[٢] () "الأشباه والنظائر" لابن الوكيل (١/ ١٧- ١٨)، "المجموع المهذب في قواعد المذهب" (١/ ٢٨).

وكذلك أراد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الكتاب أن يُبَيِّن ما هي القاعدة في التوحيد، وما هي القاعدة في الشرك؛ لأن كثيرًا من الناس يتخبطون في هذين الأمرين، ولكن الواجب أن نرجع في تقعيدنا إلى الكتاب والسنة الصحيحة؛ ليكون هذا التقعيد سليمًا.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يذكر هذه القواعد من عنده، أو من فكره كما هو الشأن عند المنحرفين الذين أضلوا الناس، وإنما أخذ هذه القواعد من كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله ﷺ، فهي رسالة قيمة عظيمة، تعتني بالتحذير من شبكة الشرك، وتميز المسلم من الكافر.

وفي هذه الرسالة يؤكد رَحِمَهُ اللَّهُ ما ذكره وقعّده في كثير من مؤلفاته من وجوب العناية بالتوحيد.

سبب تأليف القواعد الأربع:

هذه رسالة كتبها الشيخ لبعض أصدقائه، ففي "الدرر السنية" (٢/ ٥) قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد طلب مني بعض الأصدقاء الذين لا تنبغي مخالفتهم أن أجمع مؤلفًا يشتمل على مسائل أربع، وقواعد أربع يتميز بها المسلم من المشرك. اهـ

فائدة جميلة عن هذا الكتاب:

قال عبد الرحمن بن حسن رحمه الله رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه القواعد التي وضعها

شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ أحق بهذا الاسم من غيرها؛ لما ينبني عليها من أصول الدين، فإن معرفة توحيد الربوبية من توحيد الإلهية لا يسع أحدا جهله...، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فمن أنكر هذه القواعد التي وضعها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -قدس الله روحه-، فقد كفر بما تضمنته من أدلة أصول الدين، التي تضمنتها آيات القرآن المحكمات، وصحيح الأحاديث، وذلك هو الدين القيم...، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وبهذا البيان يعلم المنصف أنه لا ينكر تلك القواعد إلا من أقعده جهله، وعميت بصيرته، وضل فهمه، وتغيرت فطرته، وضاع عقله، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله معرفة الحق وقبوله، ومحبته والعمل به، والثبات عليه، والاستقامة في الدنيا والآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد ([1]) المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما). ([2])

---

[1] ()لم يصح في الجمع بين الصلاة والسيادة في حديث صحيح وراجع صفة الصلاة للألباني رحمه الله فقد نقل عن أهل العلم ما يبين عدم مشروعيتها .

[2] () "الدرر السنية" (١١/ ٣٦٦-٣٦٨).

شرح المقدمة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: بسم الله الرحمن الرحيم.

ابتدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبسملة لأمور منها:

١) اقتداءً بكتاب الله، فإنه مبدوء بالبسملة، وليست هي آية من كل سورة، وإنما جيء بها للفصل بين السور، ثبت عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه: بسم الله الرحمن الرحيم.

وفي رواية: لا يعرف انقضاء السورة. رواه أبو داود، والحاكم، صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أصل صفة صلاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٣١٥)، وانظر: "تفسير الشوكاني"، و"تفسير البغوي" (١/ ٧٣).

واتفقوا على أن البسملة جزء من آية من سورة النمل، نقل الإجماع القرطبي في تفسيره (١/ ٩٣)، والبغوي في تفسيره (١/ ١٦)، وابن كثير في تفسيره (١/ ١٧٧)، وشيخ الإسلام في الفتاوى (٢٢/ ٣٧٦).

٢) اقتداءً بالسنة النبوية في المراسلات، وقد بوب الإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الجامع الصحيح": ابتداء الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم، ثم اسم المرسل، وفي "الصحيحين" عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إلى هرقل، وفيه: «بِسْمِ

اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ».

٣) اصطلح العلماء على كتابتها في كتبهم، قال الحافظ رحمه الله: وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظم كتب الرسائل. ([1])

وقال النووي: رَحِمَهُ اللهُ: اسْتِحْبَابُ تَصْدِيرِ الْكِتَابِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.([2])

قال القرطبي رحمه الله (السَّادِسَةُ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى جَوَازِ كَتْبِهَا فِي أول كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ وَالرَّسَائِلِ) ([3])

٤) تبركًا باسم الله تبارك وتعالى.

هل تقال البسملة في الشعر؟

الجواب: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وَاخْتَلَفَ الْقُدَمَاءُ فِيمَا إِذَا كَانَ الْكِتَابُ كُلُّهُ شِعْرًا، فَجَاءَ عَنِ الشَّعْبِيِّ مَنْعُ ذَلِكَ، وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: مَضَتِ السُّنَّةُ أَنْ لَا يُكْتَبَ فِي الشِّعْرِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ جَوَازُ ذَلِكَ، وَتَابَعَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجُمْهُورُ، وَقَالَ الْخَطِيبُ: هُوَ الْمُخْتَارُ. اهـ ([4])

---

[1] () "الفتح" (١/ ٩).

[2] () "شرح مسلم" (١٢/ ١٠٧).

[3] () "تفسير القرطبي" (١/ ٩٧).

[4] () "فتح الباري" (١/ ٩).

وَقَالَ الْقَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الْمِرْقَاةِ": وَالْأَحْسَنُ التَّفْصِيلُ، بَلْ هُوَ الصَّحِيحُ؛ فَإِنَّ الشِّعْرَ حَسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ، فَيُصَانُ إِيْرَادُ الْبَسْمَلَةِ فِي الْهَجَوِيَّاتِ وَمَدَائِحِ الظَّلَمَةِ وَنَحْوِهَا). اهـ ([1])

قال الشيخ محمد بن علي بن آدم الإثيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا التفصيل الذي ذكره القاري رَحِمَهُ اللَّهُ هو الأولى عندي، ولعل ما روي عن الشعبي والزهري رَحِمَهُمَا اللَّهُ محمول على هذا، فمرادهما الشعر القبيح، والله أعلم. ([2])

فالخلاصة: إن كان الشعر حسنًا فنعم، وإن كان غير حسن فلا. ([3])

قوله: بسم الله.

والباء في بسم الله: للاستعانة، أي: أستعين بالله فيما أنا قادم عليه من الكتابة، أو القراءة، أو الأكل أو غير ذلك، هذا هو الراجح، أنها للاستعانة.

وقد ذكر القرطبي رحمه الله في تفسير سورة الفاتحة: أن هذا ردا على المعتزلة الذين يمنعون استعانة العبد بربه تعالى فقال رَحِمَهُ اللَّهُ.

: قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَفِيهَا رَدٌّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَقُولُ: إِنَّ أَفْعَالَهُمْ مَقْدُورَةٌ لَهُمْ، وَمَوْضِعُ الِاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَنَا عِنْدَ

---

[1] () "تحفة الأحوذي" (١/ ١١).

[2] () "ذخيرة العقبى في شرح المجتبى" (١/ ١٦٨).

[3] () "شرح النونية" (١/ ١١).

الِابْتِدَاءِ بِكُلِّ فِعْلٍ أَنْ نَفْتَتِحَ بِذَلِكَ، كَمَا ذَكَرْنَا، فَمَعْنَى بِسْمِ اللهِ: أَيْ: بِاللهِ، وَمَعْنَى بِاللهِ: أَيْ: بِخَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ يُوصَلُ إِلَى مَا يُوصَلُ إِلَيْهِ، وَسَيَأْتِي لِهَذَا مَزِيدُ بَيَانٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى قَوْلِهِ: بِسْمِ اللهِ، يَعْنِي: بَدَأْتُ بِعَوْنِ اللهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَبَرَكَتِهِ، وَهَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى عِبَادَهُ؛ لِيَذْكُرُوا اسْمَهُ عِنْدَ افْتِتَاحِ الْقِرَاءَةِ وَغَيْرِهَا، حَتَّى يَكُونَ الِافْتِتَاحُ بِبَرَكَةِ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ. اهـ (١)

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: ومتعلق الباء محذوف، وهو: أقرأ، أو أتلو، أو أكتب؛ لأنه المناسب لما جعلت البسملة مبدأ له، فمن قَدَّره متقدمًا كان غرضه الدلالة بتقديمه على الاهتمام بشأن الفعل، ومن قدره متأخرًا كان غرضه الدلالة بتأخيره على الاختصاص، مع ما يحصل في ضمن ذلك من العناية بشأن الاسم، والإشارة إلى أن البداية به أهمّ؛ لكون التبرّك حصل به، وبهذا يظهر رجحان تقدير الفعل متأخرًا في مثل هذا المقام. (٢)

قوله: الله.

هذا هو الاسم الأعظم على القول الراجح.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه دليل على أن (الله) أشهر أسمائه؛ لإضافة هذه

١() "تفسير القرطبي" (١/ ٩٨).

٢() "فتح القدير" (١/ ٢).

الأسماء إليه، وقد روي أنه الاسم الأعظم.

قال اللألكائي رحمه الله: وإليه ينسب كل اسم له، فيقال: الرؤوف الرحيم الله، أو من أسماء الله، ولا يقال: من أسماء الرؤوف الرحيم. اهـ (١)

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: قال البَنْدَنِيجي: وأكثرُ أهلِ العِلْمِ على أنَّ الاسم الأَعْظَم هو الله. اهـ (٢)

وقال عبد العزيز الناصر الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ: فلفظ الجلالة علم على ذاته -سبحانه-، وهو أعرف المعارف على الإطلاق، هو علم على ذات الرب سبحانه وتعالى- نعم، وكل الأسماء ترجع إليه نعم، وقال بعض العلماء: إنه الاسم الأعظم. وذكر في القرآن في ألفين وثلاثمائة وستين موضعًا، وهو يتناول معاني سائر الأسماء بطريق التضمن. (٣)

وهناك مبحث جميل يتعلق بالاسم الأعظم ذكره ابن حجر في "الفتح" (١١/ ٢٢٤) فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربعة عشر قولاً.

ثم سردها رَحِمَهُ اللَّهُ، ومنها: قال: الثَّانِي: اللهُ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ لَمْ يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِهِ؛ وَلِأَنَّهُ

١() "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" (٢٩/ ٣٨٥).

٢() "المعين على تفهم الأربعين" (ص: ٣٦).

٣() "التنبيهات السنية" (٩).

الْأَصْلُ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَمِنْ ثَمَّ أُضِيفَتْ. ([١])([٢])

ورجح إحسان إلهي ظهير رَحِمَهُ اللَّهُ أن الله هو الاسم الأعظم في كتابه "التصوف المنشأ والمصادر".

ولفظ الجلالة مشتق على القول الراجح من أله، يأله: إذا عبد، فهو إله بمعنى: مألوه، أي: معبود، فالإله: هو المألوه الذي تألهه القلوب، وكونه مستحق للألوهية مستلزمًا لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبودًا محبوبًا لذاته إلا هو. اهـ ([٣])

ومعنى المشتق: الذي أخذ من غيره، ويقابله الجامد: وهو الذي لا يؤخذ من غير. ([٤])

قوله: الرحمن الرحيم.

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: الرحمن الرحيم، اسمان مشتقان من الرحمة على طريق

---

[١] () "فتح الباري" لابن حجر (١١/ ٢٢٤).

[٢] () ويراجع كتاب "الاسم الأعظم" للغزالي. ط مكتبة نصير. القاهرة، و"الدر المنظم في الاسم الأعظم" للسيوطي ط مكتبة نصير القاهرة.

[٣] () التنبيهات السنية (٩)

[٤] () "تفسير الزجاج" (٢٥)، و"البدائع" (١/ ٢٢).

المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم. ([1])

قوله: الرحمن.

الرحمن: خاص الاسم، عام المتعلق.

ومعنى خاص الاسم: لا يجوز للإنسان أن يتسمى به.

ومعنى عام المتعلق: أي يصل أثره إلى المخلوق، بمعنى: أن رحمة الله تشمل الكافر والمسلم من حيث الطعام، والشراب، والهواء.

قوله: الرحيم.

الرحيم: عام الاسم، خاص المتعلق.

ومعنى عام الاسم: أي أن الخالق يتسمى به، ويجوز للمخلوق أن يتسمى به، ومن حيث الإضافة: الله له صفات الكمال، والمخلوق له صفات النقص.

ومعنى خاص المتعلق: أي أن رحمته خاصة بالمؤمنين من النصر، والتأييد، والحفظ، والكلاءة، قال الله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب].

هذا هو أحسن الفروق بين الرحمن والرحيم.

وهذا خلاصة كلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ. ([2])

---

[1] () "فتح القدير" (١/ ٢).

[2] () "المدارج" (١/ ٣٢-٣٣)، و"البدائع" (١/ ٢٤).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أبو عليّ الفارسيّ: الرحمن: اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختص به الله تعالى، والرحيم: إنما هو في جهة المؤمنين، قال الله تعالى:

أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب]. (١)

تنبيه:

لم يصح في فضل الابتداء بالبسملة حديث، والله أعلم. (٢)

****

ابتدأ المصنف رحمه الله رَحِمَهُ اللَّهُ هذه القواعد بعد البسملة بالدعاء والتضرع إلى الله لقارئها وسامعها، ولكل من يطلع عليها، وهذه طريقة المؤلفين القدامى رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ لمعرفتهم بحاجة العبد إلى الله ورحمته، ومغفرته وعنايته، واستفاد المتأخرون منهم.

قوله: أسأل الله.

---

(١) "فتح القدير" (١/ ٣).

(٢) "مجموع" لشيخ الإسلام (٢٢/ ٤٣٩)، و"فتح الباري" (١/ ٩)، و"المغني" (٢/ ١٥١)، و"البدائع" (١/ ١٦)، و"الاستذكار" (٢/ ١٧٦)، و"إرواء الغليل" (١/ ٢٩)، و"الفتح" (٨/ ٢٢٠). وانظر "التعاليق العلى" للشيخ كمال رحمه الله.

أي: أطلب، و ذكر المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ أن معنى أسأل الله: أي: أطلب. ([1])

وهو مأخوذ من السؤال، وسؤال الله مطلوب، وله منافع عظيمة، وهذه طريقة نافعة صحيحة، أن يطلب العبد من الله الحاجات؛ لما جاء من حديث ابن عباس عند الترمذي وغيره، وصححه الإمام الألباني والوادعي رَحِمَهُمَا اللَّهُ مرفوعًا، وفيه: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**»، أي: فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وقد بوب الإمام الوادعي رحمه الله رَحِمَهُ اللَّهُ عليه في "الجامع الصحيح": باب تعليم الصغير العقيدة الصحيحة.

وفيه: أن العلم مبني على التراحم بين الشيخ والطالب.

وفيه: شفقة المعلم والحرص على هداية الناس.

وهناك مبحث جميل في سؤال الله من كلام شيخ الاسلام يراجع في "الرد على البكري" (٢/ ٦٠٠)، و"الفتاوى الكبرى" (٥ / ١٧٨).

قوله: الله.

تقدم الكلام عن لفظ الجلالة.

فائدة: الدعاء على أربعة أوجه:

١) أن يدعو الإنسان لنفسه.

٢) أن يدعو الإنسان لغيره.

---

[1] () "فيض القدير" (٢ / ٤٨٨).

٣) أن يدعو لنفسه ولغيره بضمير الجمع.

٤) أن يدعو لنفسه ولغيره فيبدأ بنفسه، ثم بغيره.

ومن هذا الوجه جاءت الأدعية في القرآن الكريم، كقول الله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ [الحشر:١٠]. (١)

فائدة:

في "سنن الترمذي"، عن أبي بن كعب رضي الله عنه **قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا فَدَعَا لَهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ**). (٢)

قال القاضي عياض رحمه الله: وقوله ﷺ: «**رحمة الله علينا، وعلى أخي موسى**»، وقوله: وكان إذا ذكر أحدًا من الأنبياء بدأ بنفسه: «**رحمة الله علينا، وعلى أخي فلان**»، فيه: جواز بداية الإنسان بنفسه في الأدعية وأشباهها، بخلاف ما يكون من أمور الدنيا، فإن تأخير الإنسان فيه نفسه وتقديم اسم غيره أدب. اهـ(٣)

وقال الحافظ رحمه الله: وَقد ترْجم الْمُصَنّف فِي الدَّعْوَات من خص أَخَاهُ بِالدُّعَاءِ دون نَفسه، وَذكر فِيهِ عدَّة أَحَادِيث. (٤)

١() "معجم المناهي" (١٠٨).

٢() تحقيق الألباني: "صحيح المشكاة" (٢٢٥٨).

٣() "إكمال المعلم بفوائد مسلم" (٧/ ٣٧٧).

٤() "فتح الباري" (٨/ ٤٢٥).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ أَصْحَابُنَا فِيهِ اسْتِحْبَابُ ابْتِدَاءِ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ فِي الدُّعَاءِ وَشِبْهِهِ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ وَأَمَّا حُظُوظُ الدُّنْيَا فَالْأَدَبُ فِيهَا الْإِيثَارُ وَتَقْدِيمُ غَيْرِهِ عَلَى نَفْسِهِ) ([1])

قوله: الكريم.

الكريم: اسم من أسماء الله تعالى الثابتة.

ورد اسمه سبحانه الكريم في القرآن ثلاث مرات، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل]، وقوله -عز وجل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار]، وقوله سبحانه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون].

واسمه سبحانه الكريم في هذه الآية جاء في قراءة حفص بالكسر على أنه صفة للعرش، أما في قراءة ابن تغلب، وابن محيص، وابن كثير فجاء بالرفع على أنه صفة للرب سبحانه. ([2])

وفي حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ

---

[1] () " شرح النووي على مسلم "(١٥/ ١٤٤).

[2] () "تفسير القرطبي" (١٢/ ١٥٧).

يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ».([1])

أما اسمه سبحانه الأكرم فلم يرد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وذلك في قوله -عز وجل-: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣﴾ [العلق].

المعنى اللغوي:

قال الزجاجي رَحِمَهُ اللَّهُ: الكريم: الجواد، والكريم: العزيز، والكريم: الصفوح، هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب، كلها جائز وصف الله -عز وجل- بها. ([2])

وقال الخطابي رحمه الله رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعض أهل اللغة: الكريم: الكثير الخير، والعرب تسمي الشيء النافع الذي يدوم نفعه ويسهل تناوله كريمًا، ولذلك قيل للناقة الحوار كريمة؛ وذلك لغزارة لبنها، وكثرة درها. ([3])

معنى اسم الله الكريم في حق الله عز وجل:

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الكريم هو البهي، الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله، والله سبحانه وصف نفسه بالكرم، ووصف به

---

[1] () أحمد (٥/ ٥٣٨)، والترمذي (٥/ ٥٥٦). صحيح، ونصه: عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**».

[2] () "اشتقاق أسماء الله" (٣٠٢)، "المقصد الأسنى"(٩٦)، "لسان العرب" (٥/ ٣٨٦١).

[3] () "اشتقاق أسماء الله" (٣٠٢).

كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثر خيره، وحسن منظره من النبات وغيره. ([1])

قوله: رب.

هو المالك المتصرف، والرب فيه الاستعانة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: الرب: هو المربي، الخالق، الرازق، الناصر، الهادي، وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة، ولهذا يقال: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح:٢٨]، ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف]، ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص:١٦]، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ [آل عمران:١٤٧]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فعامة المسألة والاستعانة المشروعة باسم الرب. ([2])

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: الرب: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة. ([3])

❐ هل تربية الله أكمل من تربية غيره؟

---

[1] () "التبيان في أقسام القرآن" (٢٨٦).

[2] () "مجموع الفتاوى" (١٤/ ١٣).

[3] () "تفسير السعدي" (٩٤٥).

الجواب: قال شيخ الإسلام رحمه الله رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ تَرْبِيَةَ اللهِ لِعَبْدِهِ أَكْمَلُ مِنْ تَرْبِيَةِ الْوَالِدَةِ لِوَلَدِهَا. (١)

تربية الله على نوعين:

قال السعدي رحمه الله رَحِمَهُ اللَّهُ: وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة، وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة. (٢)

هل يقال رب لغير الله؟

الجواب: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن بطال: لا يجوز أن يقال لغير الله رب كما لا يجوز أن يقال له إله. اهـ(٣)

١() "الجواب الصحيح" (٣ / ١٩٤).

٢() "تفسير السعدي" (٣٩).

٣() "الفتح" (٥/ ١٧٨-١٧٩).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالرَّبُّ: هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ، وَيُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى السَّيِّدِ، وَعَلَى الْمُتَصَرِّفِ لِلْإِصْلَاحِ، وَكُلّ ذَلِكَ صَحِيح فِي حَقّ اللهَّ تَعَالَى، وَلَا يُسْتَعْمَلُ الرَّبُّ لِغَيْرِ اللهَّ، بَلْ بِالْإِضَافَةِ تَقُولُ: رَبُّ الدَّارِ، رَبُّ كَذَا، وَأَمَّا الرَّبُّ فَلَا يُقَالُ إِلَّا للهَّ عَزَّ وَجَلَّ. ([1])

قوله: العرش.

هو لغة: السرير الخاص بالملك.

وشرعًا: هو العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وصفه الله بأنه عظيم، وكريم، ومجيد. قاله العثيمين. ([2])

هل العرش هو الكرسي؟

الجواب: قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: والصواب أن العرش غير الكرسي. اهـ ([3]).

قوله: يتولاك.

أي: أسأل الله توليك، ومعناه: أن يكون وليًا لك، لقول الله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢٥٧].

---

[1] () "تفسير ابن كثير" (١/ ٤٤)، و"معجم المناهي".

[2] () "شرح اللمعة".

[3] () "شرح الطحاوية" (٣٩٧)، "مجموع الفتاوى" (٦/ ٥٨٥) "الصحيحة" (١٠٩).

قال ابن جرير رحمه الله -رَحِمَهُ اللَّهُ عند الآية-: معناه: نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه. اهـ

أهمية نيل ولاية الله

وذكر العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: إن تَوَلَّيْتَه تَوَلَّاكَ، وإن توليت غيره تخلى عنك ووكلك إلى من توليته في ثلاثة مواضع، في ثلاثة دور: في الدنيا، وبعد الممات، وعند قيامة الأبدان -نسأل الله أن يتولانا جميعًا في هذه المواضع كلها-. (١)

❐ كيف تجلب الولاية؟

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن ولاية الله لا تصح إلا بالبراءة من كل معبود سواه، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف]، أي: جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه كلمته باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة: لا

---

(١) "تعليق على النونية" (٢ / ٢١١).

إله إلا الله، وهي التي ورَّثها إمام الحنفاء لاتباعه إلى يوم القيامة، وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد، وهى محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي النشور الذي لا تدخل الجنة إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها تنقسم الناس إلى شقى وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة. ([1])

ودونك كلام الإمام الهمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقد قال رحمه الله: فإن ولاية الله هي موافقته بالمحبة لما يحب، والبغض لما يبغض، والرضا بما يرضي، والسخط بما يسخط، والأمر بما يأمر به، والنهي عما ينهى عنه، والموالاة لأوليائه، والمعاداة لأعدائه. ([2])

تفاضل الناس في ولاية الله

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: الناس متفاضلون في ولاية الله -عز وجل- بحسب

---

[1] () "الجواب الكافي" (١٣٨).

[2] () "مجموع الفتاوى" (٢ / ٣٧٠).

تفاضلهم في الإيمان والتقوى. ([1])

وهذا يدل على أن العبد يحتاج إلى ربه، وإلى توفيقه وإعانته، ومن وفقه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المحروم.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد أجمع العلماء بالله على أن التوفيق أن لا يكل الله العبد إلى نفسه، وأجمعوا على أن الخذلان أن يخلى بينه وبين نفسه. اهـ ([2])

فائدة: ولاية الله على نوعين:

قال ابن القيّم -رَحِمَهُ اللَّهُ في مبحث نفيس من "البدائع" (٣/ ١٠٦- ١٠٧)-:

والذي يظهر لي من ذلك: أن ولاية الله تعالى نوعان: عامة، وخاصة.

فالعامة: ولاية كل مؤمن، فمن كان مؤمنًا لله تقيًا كان له وليًا، وفيه من الولاية بقدر إيمانه وتقواه، ولا يمتنع في هذه الولاية أن يقول: أنا ولي إن شاء الله، كما يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

والولاية الخاصة: إن علم من نفسه أنه قائم لله بجميع حقوقه، مؤثر له على كل ما سواه في جميع حالاته، قد صارت مراضي الله ومحابه هي همه، ومتعلق خواطره، يصبح ويمسي وهمه مرضاة ربه، وإن سخط الخلق، فهذا إذا قال: أنا ولي لله كان صادقًا، وقد ذهب المحققون في مسألة: أنا مؤمن، إلى هذا التفصيل. اهـ

---

[1] () "مجموع الفتاوى" (١١ / ١٧٥)، "ولاية الله" للشوكاني (/ ٣٩٦).

[2] () "مفتاح دار السعادة" (١/ ٢٨٨).

قوله: في الدنيا والآخرة.

سميت الدنيا بالدنيا: لدناءتها، وقيل: مأخوذة من الدنو: وهو قرب الأجل، والدنيا قصيرة.

وسميت الآخرة بالآخرة؛ لأنه لا شيء بعدها.

****

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ.

أي: يصيرك مباركًا، أي: نافعًا أينما كنت، ومعلمًا للخير حيث ما كنت.

ما حقيقة البركة؟

الجواب: قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: وذكر البركة وحقيقتها الثبوت، واللزوم، والاستقرار، فمنه برك البعير إذا استقر على الأرض. اهـ(١)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: هو كثرة الخير واستمراره. (٢)

وهاك أخي القارئ الكريم مبحثا جميلا للعلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ يتعلق بالبركة: قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: والبركة: هي كثرة الخير وثبوته، وهي مأخوذة من البِركة بالكسر، والبِركة: مجمع الماء، ومجمع الماء يتميز عن مجرى الماء بأمرين:

١) الكثرة. ٢) الثبوت.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذلك: طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

١) أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم، مثل: القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص:٢٩]، فمن بركته أن من أخذ به حصل له الفتح، فأنقذ الله بذلك أممًا كثيرة من الشرك، ومن بركته: أن الحرف الواحد بعشر حسنات، وهذا

---

(١) "إغاثة اللهفان" (١/ ٣٠٢).

(٢) "البدائع" (٢/ ١٧٨).

يوفر للإنسان الوقت والجهد، إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

٢) أن يكون بأمر حسي معلوم، مثل التعليم، والدعاء، ونحوه، فهذا الرجل يتبرك بعلمه ودعوته إلى الخير، فيكون هذا بركة؛ لأننا نلنا منه خيرًا كثيرًا، وقال أسيد بن خضير: ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر.[١]؛ فإن الله يجري على بعض الناس من أمور الخير ما لا يجريه على يد الآخر.[٢]

قال العلامة ابن القيّم -رَحِمَهُ اللَّهُ- في قول الله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مريم:٣١]-: قال سفيان: أي معلمًا للخير.[٣]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا يدل على أن تعليم الرجل الخير هو البركة التي جعلها الله فيه، فإن البركة حصول الخير ونماؤه ودوامه، وهذا في الحقيقة ليس إلا في العلم الموروث عن الأنبياء وتعليمه. اهـ

وبَيَّنَ ابن القيم معنى البركة في الآية، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ غير وَاحِد من السّلف: معلما للخير أَيْنَمَا كنت، وَهَذَا جُزْء الْمُسَمّى، فالمبارك: كثير الْخَيْر فِي نَفسه، الَّذِي يحصله لغيره تَعْلِيما، وإقدارا، وَنصحا، وَإِرَادَة، واجتهادا. اهـ[٤]

---

[١] "القول المفيد على كتاب التوحيد" (١/ ١٩٤).

[٢] "مجموع فتاوى ابن عثيمين" (٩/ ١٥١).

[٣] "المفتاح" (١/ ١٧٤).

[٤] "جلاء الأفهام" (١/ ١٦٨)..

وفي "مجموع الرسائل والمسائل النجدية" (١/ ١٢٩): أي: داعيًا إلى الله، مذكرًا به، معلمًا بحقوقه، فهذه هي البركة المشار إليها، ومن عدمها محقت بركة عمره وساعاته. اهـ

وقد تكلم بكر أبو زيد رحمه الله في "معجم المناهي اللفظية" بكلام طيب حول البركة والتبارك.

وبسط ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "جلاء الأفهام" (١٧٨- ١٧٩) القول في حقيقة البركة لغة، واصطلاحاً، وأن أصل حقيقتها: الثبوت، واللزوم، والاستقرار، فمنه: برك البعير، إذا استقر على الأرض، والبركة: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك، ويُقال: باركه الله، وبارك فيه، وبارك عليه، وبارك له، والمبارك: الذي قد باركه الله سبحانه...، والرب سبحانه يقال في حقه: تبارك، ولا يقال: مبارك... إلخ.

وسئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عمن يقول: قضيت حاجتي ببركة الله، وبركة الشيخ.

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: بأن هذا منكرا من القول، فإنه لا يُقرنُ بالله في مثل هذا غيره كما نهى ﷺ من قال: ما شاء الله وشئت. ([1])

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقول القائل: ببركة الشيخ قد يعني بها دعاءه، وأسرع الدعاء

---

[1] () "الفتاوى" (٢٧/ ٩٥)، و(٢٧/ ٦٤).

إجابةً دعاء غائب لغائب، وقد يعني بها بركة ما أمره به وعلمه من الخير، وقد يعني بها بركة معاونته له على الحق وموالاته في الدين، ونحوه ذلك، وهذه كلها معانٍ صحيحة، وقد يعني بها دعاء للميت والغائب، إذ استقلال الشيخ بذلك التأثير، أو فعله لما هو عاجز عنه، أو غير قادر عليه، أو غير قاصد له، متابعته أو مطاوعته على ذلك من البدع المنكرات، ونحو هذه المعاني الباطلة...([1])

✓ إذاً: فيكون هذا اللفظ من الألفاظ المجملة المحتملة للحق والباطل، فيحسن التوقي منها، والله أعلم.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: فَصْلٌ: وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ: نَحْنُ فِي بَرَكَةِ فُلَانٍ، أَوْ مِنْ وَقْتِ حُلُولِهِ عِنْدَنَا حَلَّتْ الْبَرَكَةُ، فَهَذَا الْكَلَامُ صَحِيحٌ بِاعْتِبَارِ، بَاطِلٌ بِاعْتِبَارِ، فَأَمَّا الصَّحِيحُ: فَأَنْ يُرَادَ بِهِ أَنَّهُ هَدَانَا، وَعَلَّمَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ، فَبِبَرَكَةِ اتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ حَصَلَ لَنَا مِنْ الْخَيْرِ مَا حَصَلَ فَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ ﷺ فِي بَرَكَتِهِ لَمَّا آمَنُوا بِهِ، وَأَطَاعُوهُ، فَبِبَرَكَةِ ذَلِكَ حَصَلَ لَهُمْ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَلْ كُلُّ مُؤْمِنٍ آمَنَ بِالرَّسُولِ وَأَطَاعَهُ حَصَلَ لَهُ مِنْ بَرَكَةِ الرَّسُولِ بِسَبَبِ إيمَانِهِ وَطَاعَتِهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللهُ.

وَأَيْضًا إذَا أُرِيدَ بِذَلِكَ أَنَّهُ بِبَرَكَةِ دُعَائِهِ وَصَلَاحِهِ دَفَعَ اللهُ الشَّرَّ، وَحَصَلَ لَنَا رِزْقٌ وَنَصْرٌ، فَهَذَا حَقٌّ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**وَهَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلَّا**

---

[1]() "الفتاوى" (١١/ ١١٢).

بِضُعَفَائِكُمْ» «بِدُعَائِهِمْ، وَصَلَاتِهِمْ، وَإِخْلَاصِهِمْ»، وَقَدْ يَدْفَعُ الْعَذَابَ عَنْ الْكُفَّارِ وَالْفُجَّارِ؛ لِئَلَّا يُصِيبَ مِنْ بَيْنِهِمْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ، وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَتٌ ﴾ [الفتح:٢٥] - إلَى قَوْلِهِ - ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح:٢٥] فَلَوْلَا الضُّعَفَاءُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ كَانُوا بِمَكَّةَ بَيْنَ ظهراني الْكُفَّارِ عَذَّبَ اللهُ الْكُفَّارَ: وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«**لَوْلَا مَا فِي الْبُيُوتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالذَّرَارِيِّ لَأَمَرْت بِالصَّلَاةِ فَتُقَامُ ثُمَّ أَنْطَلِقُ مَعِي بِرِجَالِ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ مَعَنَا فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ**» وَكَذَلِكَ تَرَكَ رَجْمَ الْحَامِلِ حَتَّى تَضَعَ جَنِينَهَا. وَقَدْ قَالَ الْمَسِيحُ عليه السلام:﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١] فَبَرَكَاتُ أَوْلِيَاءِ اللهِ الصَّالِحِينَ بِاعْتِبَارِ نَفْعِهِمْ لِلْخَلْقِ بِدُعَائِهِمْ إلَى طَاعَةِ اللهِ وَبِدُعَائِهِمْ لِلْخَلْقِ وَبِمَا يُنْزِلُ اللهُ مِنْ الرَّحْمَةِ وَيَدْفَعُ مِنْ الْعَذَابِ بِسَبَبِهِمْ حَقٌّ مَوْجُودٌ فَمَنْ أَرَادَ بِالْبَرَكَةِ هَذَا وَكَانَ صَادِقًا فَقَوْلُهُ حَقٌّ. اهـ ([1])

البركة تنقسم إلى قسمين:

قال ابن القيّم رحمه الله: وأما البركة فكذلك نوعان أيضًا:

أحدهما: هي فعله تبارك وتعالى، والفعل منه بارك.

الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا

([1]) "مجموع الفتاوى" (١١/ ١١٣-١١٤).

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ.

يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له عز وجل. اهـ ([1])

****

قوله: وأن يجعلك.

جعل، يجعل: فعل مضارع، والفعل المضارع عند الجماهير يدل على الاستمرار، إذًا: فهذا الدعاء مستمر معك عند القراءة لهذا الكتاب، وسماعه، والدعوة إليه.

قوله: ممن إذا أعطي شكر.

لأن النعم تقابل بالحمد والشكر، والبلايا والمصائب تقابل بالصبر فيها الصبر، والذنب والسيئة تقابل بالتوبة والاستغفار الغرض فيها التوبة والاستغفار([2]).

وعبر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بـ(إذا)؛ لأنها تدل على تحقيق ما بعدها، بخلاف إن الشرطية، فإنها تدل على أن ما بعدها مشكوك في وجوده، ولا شك أن عطاء الرب

---

[1] () "البدائع" (٢/ ١٨٥)، وانظر: "الفتاوى" لشيخ الإسلام (١٤/ ٤٩٠) فله كلام جميل، وهكذا "اللجنة الدائمة" (٢/ ٢٨).

[2] ()انظر في هذا بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية(٥/ ٥٢٩) و (٨/ ٥٠٧).

متحقق الوقوع. ([1])

نصيحة جميلة:

تتعلق بعطاء الله للعبد، وكيف يستعملها في طاعة الله للإمام الآجري،

فقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا يَدُلُّ الْعُقَلاءَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا إِذَا أَنْعَمَ اللهُ الْكَرِيمُ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَةٍ مِمَّا يُسَرُّونَ بِهَا وَيَفْرَحُونَ بِهَا فَحُكْمُهُمْ أَنْ يَشْكُرُوا اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْهَا، وَيُكْثِرُوا ذِكْرَهُ، وَيُطِيعُوا اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَيَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ، وَذَلِكَ مِثْلُ تَزْوِيجٍ، وَزِفَافٍ، وَخِتَانِ أَوْلادِهِمْ، وَوَلائِمِهِمْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الأَفْرَاحِ، وَيُوَاسُوا مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْقَرَابَةَ، وَالْجِيرَانَ، وَالضُّعَفَاءَ وَغَيْرَهُمْ، وَيَغْتَنِمُوا دُعَاءَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ؛ حَتَّى يَكُونُوا قَدِ اسْتَعَانُوا بِنِعْمَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى طَاعَتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَأَشِرُوا وَبَطَرُوا، وَأَحْضَرُوا هَذِهِ الأَفْرَاحَ الْمَعَاصِيَ: اللَّهْوَ بِالطَّبْلِ، وَالْمِزْمَارِ، وَالْمَعَازِفِ، وَالْعُودِ، وَالطَّنْبُورِ، وَالْمُغَنِّي وَالْمُغَنِّيَاتِ، فَقَدْ عَصَوُا اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-؛ إِذَا اسْتَعَانُوا بِنِعْمَهِ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَآذَوْا بِهَذَا الْفِعْلِ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ - وَلَزِمَهُمُ الإِنْكَارُ عَلَيْهِمْ-، وَتَأَذَّوْا بِجِوَارِهِمْ، وَكَثُرَ الدَّاعِي عَلَيْهِمْ بِقَبِيحِ مَا ظَهَرَ مِمَّا نُهُوا عَنْهُ، وَهَكَذَا إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ، أَوْ أُصِيبُوا بِالْمَصَائِبِ الْمُوجِعَةِ لِلْقُلُوبِ فَالْعُقَلاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَعْمِلُونَ فِي مَصَائِبِهِمْ مَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ الصَّبْرِ، وَالاسْتِرْجَاعِ،

---

[1] () "الجنى الداني في حروف المعاني"، "مغني اللبيب" لابن هشام، و"رصف المباني في حروف المعاني".

وَالْحَمْدِ لِمَوْلاهُمُ الْكَرِيمِ، وَالصَّلاةِ، فَأَثَابَهُمْ مَوْلاهُمُ الْكَرِيمُ عَلَى ذَلِكَ، وَرَضِيَ فِعْلَهُمْ، وَحَمَدَهُمُ الْعُقَلاءُ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ بَكَوْا وَحَزِنُوا فَلا عَيْبَ عَلَيْهِمْ؛ لأَنَّ الْمُؤْمِنَ رَقِيقُ الْقَلْبِ، فَبُكَاؤُهُ رَحْمَةٌ، فَمُبَاحٌ ذَلِكَ لَهُ، وَأَمَّا الْجُهَّالُ مِنَ النَّاسِ -وَهُمْ كَثِيرٌ- فَإِنَّهُمْ إِذَا أُصِيبُوا بِمَا ذَكَرْنَا سَخِطُوا مَا حَلَّ بِهِمْ، وَدَعَوْا بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، وَالْحُرُوبِ، وَالسَّلْبِ، وَلَطَمُوا الْخُدُودَ، وَنَشَرُوا الشُّعُورَ وَجَزُّوهَا، وَخَمَشُوا وُجُوهَهُمْ، وَشَقُّوا جُيُوبَهُمْ، وَنَاحُوا، وَاسْتَعْمَلُوا النَّوْحَ، وَعَصَوا اللهَّ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي مَصَائِبِهِمْ بِمَعَاصٍ كَثِيرَةٍ، وَاسْتَعْمَلُوا أَخْلاقَ الْجَاهِلِيَّةِ فِي طَعَامٍ يَعْمَلُونَهُ وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَالْبَيْتُوتَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْمَيِّتِ، وَكَثْرَةِ زِيَارَةِ نِسَائِهِمُ الْقُبُورَ، وَتَضْيِيعِهِمْ لِلصَّلَوَاتِ، وَأَشْبَاهٌ لِهَذِهِ الْمَعَاصِي فَاللهُّ -عَزَّ وَجَلَّ- يَمْقُتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَالْمُؤْمِنُونَ يَتَأَذَّوْنَ بِمَا ظَهَرَ مِنَ الْمَنَاكِيرِ الَّتِي أَظْهَرُوهَا، وَيَتَعَاوَنُونَ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ بِنِعَمٍ، وَيَجِدُونَ عَلَى ذَلِكَ أَعْوَانًا؛ لِظُهُورِ الْجَهْلِ، وَدُرُوسِ الْعِلْمِ. ([1])

وقوله: أعطي.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ الْعَطَاءُ إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ مَصْلَحَةِ دِينِ اللهَّ، فَكُلَّمَا كَانَ للهَّ أَطْوَعُ، وَلِدِينِ اللهَّ أَنْفَعُ، كَانَ الْعَطَاءُ فِيهِ أَوْلَى، وَعَطَاءُ مُحْتَاجٍ إِلَيْهِ فِي إِقَامَةِ الدِّينِ، وَقَمْعِ أَعْدَائِهِ، وَإِظْهَارِهِ، وَإِعْلَائِهِ، أَعْظَمُ مِنْ إِعْطَاءِ مَنْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ. اهـ

---

[1] () "الأربعون حديثًا" للآجري (٤١).

([1])

ما هو أفضل العطاء؟

الجواب: قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن أفضل العطاء وأجله على الإطلاق الإيمان وجزاؤه وهو لا يتحقق إلا بالامتحان والاختبار. اهـ ([2])

عطاء الله على قسمين:

١) قدري ٢) وشرعي.

راجع "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين" (١٠ / ١٠٢).

العطاء الذي نسأل الله فيه العون منه سبحانه

بينه ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: وَإِذَا أَعْطَاكَ مَا أَعْطَاكَ بِلَا سُؤَالٍ تَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَهُ عَوْنًا لَكَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَبَلَاغًا إِلَى مَرْضَاتِهِ، وَلَا يَجْعَلَهُ قَاطِعًا لَكَ عَنْهُ، وَلَا مُبْعِدًا عَنْ مَرْضَاتِهِ، وَلَا تَظُنُّ أَنَّ عَطَاءَهُ كُلَّ مَا أَعْطَى لِكَرَامَةِ عَبْدِهِ عَلَيْهِ، وَلَا مَنْعَهُ كُلَّ مَا يَمْنَعُهُ لِهَوَانِ عَبْدِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ عَطَاءَهُ وَمَنْعَهُ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، يَمْتَحِنُ بِهِمَا عِبَادَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر:١٥-١٧]، أَيْ: لَيْسَ كُلُّ مَنْ أَعْطَيْتُهُ وَنَعَّمْتُهُ وَخَوَّلْتُهُ فَقَدْ أَكْرَمْتُهُ، وَمَا ذَاكَ لِكَرَامَتِهِ عَلَيَّ، وَلَكِنَّهُ ابْتِلَاءٌ مِنِّي،

---

[1] () "الفتاوى الكبرى" (١١/ ١١٣).

[2] () "شفاء العليل" في الوجه (٣٤) (١/ ٢٤٥).

وَامْتِحَانٌ لَهُ أَيَشْكُرُنِي فَأُعْطِيَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، أَمْ يَكْفُرُنِي فَأَسْلُبَهُ إِيَّاهُ، وَأُخَوِّلَ فِيهِ غَيْرَهُ؟ وَلَيْسَ كُلُّ مَنِ ابْتَلَيْتُهُ فَضَيَّقْتُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَجَعَلْتُهُ بِقَدَرٍ لَا يُفَضَّلُ عَنْهُ، فَذَلِكَ مِنْ هَوَانِهِ عَلَيَّ، وَلَكِنَّهُ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ مِنِّي لَهُ أَيَصْبِرُ فَأُعْطِيَهُ أَضْعَافَ أَضْعَافِ مَا فَاتَهُ مِنْ سَعَةِ الرِّزْقِ، أَمْ يَتَسَخَّطُ فَيَكُونَ حَظُّهُ السُّخْطَ؟، فَرَدَّ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ سَعَةَ الرِّزْقِ إِكْرَامٌ، وَأَنَّ الْفَقْرَ إِهَانَةٌ، فَقَالَ: لَمْ أَبْتَلِ عَبْدِي بِالْغِنَى لِكَرَامَتِهِ عَلَيَّ، وَلَمْ أَبْتَلِهِ بِالْفَقْرِ لِهَوَانِهِ عَلَيَّ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِهَانَةَ لَا يَدُورَانِ عَلَى الْمَالِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ وَتَقْدِيرِهِ. ([1])

قوله: شكر.

لقوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [النحل:١١٤]، وقال سبحانه: ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت]، وقال سبحانه: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الزمر].

تعريف الشكر

([1]) "مدارج السالكين" (١ / ٦٠).

الشكر لغة: مصدر شكر، يشكر، وهو مأخوذ من مادّة (ش ك ر) الّتي تدلّ على الثّناء على الإنسان بمعروف يوليكه.

ويقال: إنّ حقيقة الشّكر الرّضا باليسير، ومن ذلك: فرس شكور إذا كفاه لسمنه العلف القليل.

وقال المناويّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **الشّكر شكران:**

الأوّل: شكر باللّسان: وهو الثّناء على المنعم.

والآخر: شكر بجميع الجوارح: وهو مكافأة النّعمة بقدر الاستحقاق، والشّكور: الباذل وسعه في أداء الشّكر بقلبه ولسانه وجوارحه؛ اعتقادًا واعترافًا. (١)

وفي الاصطلاح: قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: الشّكر: ظُهُورُ أَثَرِ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: ثَنَاءً وَاعْتِرَافًا، وَعَلَى قَلْبِهِ: شُهُودًا وَمَحَبَّةً، وَعَلَى جَوَارِحِهِ: انْقِيَادًا وَطَاعَةً. (٢)

القواعد التي يقوم عليها الشكر:

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: **وَالشُّكْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى خَمْسِ قَوَاعِدَ:**

١) خُضُوعُ الشَّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ.
٢) وَحُبُّهُ لَهُ.
٣) وَاعْتِرَافُهُ بِنِعْمَتِهِ.
٤) وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِهَا.
٥) وَأَنْ لَا يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ.

---

(١) "التوقيف على مهمات التعاريف" (٢٠٦- ٢٠٧).

(٢) "مدارج السالكين" (٢/ ٢٤٤).

فَهَذِهِ الْخَمْسُ: هِيَ أَسَاسُ الشُّكْرِ، وَبِنَاؤُهُ عَلَيْهَا، فَمَتَى عُدِمَ مِنْهَا وَاحِدَةً اخْتَلَّ مِنْ قَوَاعِدِ الشُّكْرِ قَاعِدَةٌ.

وَكُلُّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الشُّكْرِ وَحْدَهُ، فَكَلَامُهُ إِلَيْهَا يَرْجِعُ، وَعَلَيْهَا يَدُورُ.

فَقِيلَ: حَدُّهُ الِاعْتِرَافُ بِنِعْمَةِ الْمُنْعِمِ عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ.

وَقِيلَ: الثَّنَاءُ عَلَى الْمُحْسِنِ بِذِكْرِ إِحْسَانِهِ.

وَقِيلَ: هُوَ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى مَحَبَّةِ النِّعَمِ، وَالْجَوَارِحِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَجَرَيَانُ اللِّسَانِ بِذِكْرِهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: هُوَ مُشَاهَدَةُ الْمِنَّةِ. وَحِفْظُ الْحُرْمَةِ.

وَمَا أَلْطَفَ مَا قَالَ حَمْدُونُ الْقَصَّارُ: شُكْرُ النِّعْمَةِ أَنْ تَرَى نَفْسَكَ فِيهَا طُفَيْلِيًّا.([1])

وقال الفيروز أباديّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الشّكر أعلى منازل السّالكين، وفوق منزلة الرضا، فإنّه يتضمّن الرّضا وزيادة، والرّضا مندرج في الشّكر إذ يستحيل وجود الشّكر بدونه، وهو نصف الإيمان ومبناه على خمس قواعد (وذكر الخمس التي ذكرها ابن القيم رحمه الله ثم) قال : فمتى فقد منها واحدة اختلّت قاعدة من قواعد الشّكر. ([2])

فائدة:

---

[1] () "مدارج السالكين" (٧ / ٢٦٢).

[2] () "بصائر ذوي التمييز" (٣/ ٣٤، ٣٣٤) بتصرف.

اعلم أن أكثر الأمور تدخل في الشكر، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فَقَدْ صَارَ مَجْمُوعُ الْأُمُورِ دَاخِلًا فِي الشُّكْرِ. وَلِهَذَا عَظَّمَ الْقُرْآنُ أَمْرَ الشُّكْرِ. اهـ (١)

الشكر خلاصة العبودية:

قال ابن القيّم -رَحِمَهُ اللَّهُ في كلام له -: وَمِنْهَا أَنَّهُ يَبْعَثُهُ عَلَى أَعْلَى الْمَقَامَاتِ، وَهُوَ مَقَامُ الشُّكْرِ، الَّذِي هُوَ خُلَاصَةُ الْعُبُودِيَّةِ، فَإِنَّهُ إِذَا حَصَلَ لَهُ مَرْجُوُّهُ كَانَ أَدْعَى لِشُكْرِهِ. (٢)

أصل الشكر:

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن أصل الشكر: هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل، والمحبة. اهـ (٣)

حقيقة الشكر:

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: وحقيقة الشكر هو: الثناء على المنعم، ومحبته، والعمل بطاعته، كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

١() "المجموع" (٨/ ٢١٢).

٢() "مدارج السالكين" (٧ / ١٢١).

٣() "طريق الهجرتين" (١/ ٢٥).

فاليد: للطاعة، والسان: للثناء، والضمير: للحب والتعظيم. اهـ([1])

اعلم أن الشكر غاية الأمر وغاية الخلق.

وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: وأخبر سبحانه أن الشكر هو الغاية من خلقه وأمره بل هو الغاية التي خلق عبيده لأجلها: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾[النحل:٧٨]، فهذه غاية الخلق وغاية الأمر. ([2])

****

قوله: إذا ابتلي.

والابتلاء مأخوذ من مادة (ب ل و) التي تدل على نوع من الاختبار، ومن ذلك قولهم: بليَّ الإنسان، وابتلاه الله، أي: اختبره، قال الشاعر:

بليت وفقدان الحبيب بليّة وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

ويكون البلاء بالخير والشر، والله -عز وجل- يبلي العبد بلاءً حسنًا، وبلاءً سيئًا، وذلك راجع إلى معنى الاختبار؛ لأنه بذلك يختبر صبره، وشكره، وبلوته

---

[1] () "طريق الهجرتين" (١/ ٣٤٦).

[2] () "عدة الصابرين" (١١٩).

تأتي أيضًا بمعنى جزيته. (١)

والابتلاء قد يكون بحجب شيء من النعم عن العباد، أو بوصول ما لا يرغبون فيه إليهم، والابتلاء ليس دليلًا على قلة درجة صاحبه، بل يكون دليلًا على أن الله -جل وعلا- أراد أن يمحص العبد، ويخلصه من ذنوبه.

قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: الابتلاء هو الاختبار، قال الله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، فأما الخير فالابتلاء فيه: أن الله يبلو الإنسان هل يشكر أم يكفر؟ كما قال الله عن سليمان عليه السلام: ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠]، وأما الابتلاء بالشر: فإن الله يبلو الإنسان بالشر؛ ليعلم هل يصبر أو يتسخط، فإن صبر واحتسب الأجر من الله كان هذا البلاء كفارة له، ورفعة لدرجاته، وإن لم يفعل كان هذا الابتلاء عليه محنة في دنياه وآخرته. اهـ (٢)

اعلم أن في ابتلاء الله لعبيده حِكَمٌ كثيرة منها:

١) تمييز الصادق من الكاذب، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت].

٢) معرفة الخبيث من الطيب، قال الله: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩].

---

(١) "مقاييس اللغة" لابن فارس (١/ ٢٩٢)، و"الصحاح" للجوهري (٦/ ٢٢٨٥).

(٢) "فتاوى نور على الدرب" (٧٠).

٣) رفع الدرجة قال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤].

ولهذا قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فلله سبحانه من المحن في ابتلائه أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته، وهل وصل من وصل إلى المقامات المحمودة، والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء. اهـ([1])

تنبيه:

الفرق بين قول القائل: أبلاك الله، وابتلاك الله:

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: يقال: أبلاك الله، وابتلاك الله، فأبلاك الله بالخير، وابتلاك الله بالمكاره غالبًا. اهـ([2])

قوله: صبر.

الصبر لغة: حبس النفس، يقال: قتل فلان صبرًا: أي: حبسًا.

وفي الاصطلاح: قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ، وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى، وَحَبْسُ الْجَوَارِحِ عَنِ التَّشْوِيشِ. ([3])اهـ

مقامات الدين كلها تدخل في الصبر

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: والاسم الجامع لذلك كلّه الصّبر، وهذا يدلّك على

---

[1] () "مفتاح دار السعادة" (١/ ٣٠١).

[2] () "طريق الهجرتين" (١/ ٣٤٢).

[3] () "مدارج السالكين" (٢/ ٣٥).

ارتباط مقامات الدّين كلّها بالصبر. ([1])

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: كل ما يلقى العبد في هذه الدّار لا يخلو من نوعين:

أحدهما: يوافق هواه ومراده.

والآخر: لا يوافقه.

وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما؛ فإنّه مختبر وممتحن.

النوع الأول: الموافق لغرضه فكالصّحة، والسّلامة، والجاه، والمال، وأنواع الملاذّ المباحة، وهو أحوج بشيء إلى الصّبر فيها من وجوه:

أحدها: أن لا يركن إليها، ولا يغترّ بها، ولا تحمله على البطر والأشر، والفرح المذموم الّذي لا يحبّ الله أهله.

الثّاني: أن لا ينهمك في نيلها، ويبالغ في استقصائها؛ فإنّها تنقلب إلى أضدادها.

الثّالث: أن يصبر على أداء حقّ الله فيها، ولا يضيّعه فيسلبها.

الرّابع: أن يصبر عن صرفها في الحرام، فلا يمكّن نفسه من كلّ ما تريده منها؛ فإنّها توقعه في الحرام، فإن احترز كلّ الاحتراز أوقعته في المكروه، ولا يصبر على السّرّاء إلّا الصّدّيقون.

قال بعض السّلف: البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر، ولا يصبر على العافية

---

[1] () "مدارج السالكين" (٣/ ١٦٥)، وعدة الصابرين (٢٠).

إلّا الصّدّيقون.

وقال عبد الرّحمن بن عوف رضي الله عنه: ابتلينا بالضّرّاء فصبرنا، وابتلينا بالسّرّاء فلم نصبر.

ولذلك حذّر الله عباده من فتنة المال، والأزواج، والأولاد، وإنّما كان الصّبر على فتنة السّرّاء أعظم؛ لأنّه مقرون بالقدرة، والجائع عند غيبة الطّعام أقدر منه على الصّبر عند حضوره. ([1])

العلاقة بين الشكر والصبر:

قال ابن حجر رحمه الله: الشّكر يتضمّن الصّبر على الطّاعة، والصّبر عن المعصية.

وقال بعض الأئمّة: الصّبر يستلزم الشّكر ولا يتمّ إلّا به، وبالعكس فمتى ذهب أحدهما ذهب الآخر، فمن كان في نعمة ففرضه الشّكر، والصّبر.

أمّا الشّكر فواضح، وأمّا الصّبر فعن المعصية، ومن كان في بليّة ففرضه الصّبر والشّكر، أمّا الصّبر فواضح، وأمّا الشّكر فالقيام بحقّ الله في تلك البليّة، فإنّ لله على العبد عبوديّة في البلاء، كما له عليه عبوديّة في النّعماء. ([2])

❑ هل إخبار المريض للطبيب بما فيه ينافي الصبر؟

([1]) "عدة الصابرين"(٦٤-٦٦) بتصرف يسير.

([2]) "الفتح" (١١/ ٣١١).

الجواب: اعلم أن إخبار المريض لصديقه بمرضه، أو للطبيب جائز، فقد ذكر ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ في "العدة" (١/ ١٠٧): أنه لا بأس به، وأفاد الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (١٠/ ١٢٤) فقال: أما إخبار المريض صديقه، أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقًا.

❐ هل التشكي ينافي الصبر؟

الجواب: قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، فإن يعقوب وعد بالصبر الجميل، و﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف:٨٦]، وإنما ينافي الصبر شكوى الله (١)، لا الشكوى إلى الله. اهـ (٢)

الصبر فيه تفصيل؟

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: فالواجب الصبر على الأذى في ذات الله عزّ وجلَّ، وأما الأذى فيما يتعلق بأمور الدنيا، ومعاملة الناس، فأنت بالخيار، إن شئت فاصبر، وإن شئت فخذ بحقك، والصبر أفضل، إلا إذا كان في الصبر عدوان، واستمرار في العدوان، فالأخذ بحقك أولى. اهـ (٣)

---

١ ()أي إلى الخلق «قال الله تعالى في الحديث القدسي : إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلقته من إساري ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل» . [ك هق]. عن أبي هريرة الصحيحة ٢٧٢).

٢ () "مدارج السالكين" (١/ ١٦١).

٣ () "شرح الرياض" (٦/ ٣٢٩).

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: الصّبر باعتبار متعلّقه ثلاثة أقسام:

١) صبر الأوامر والطّاعات حتّى يؤدّيها.

٢) وصبر عن المناهي والمخالفات حتّى لا يقع فيها.

٣) وصبر على الأقدار والأقضية حتّى لا يتسخّطها. ([1])

وقسم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الصبر إلى ثلاثة أقسام فقال:

٤) صبر على طاعة الله تعالى.

٥) صبر عن معصية الله تعالى.

٦) صبر على امتحان الله تعالى.

فالأولان صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث على ما لا كسب للعبد فيه، وسمعت شيخ الإسلام يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعه، وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، ولا كسب له فيها، وليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما الصبر عن المعصية فصبر اختيار ورضى، ومحاربة للنفس([2]).

❐ مسألة: أيهما أفضل الصبر على الطاعة، أم الصبر عن المعصية؟

---

[1] () "مدارج السالكين" لابن القيم (١/ ١٦٥).

[2] () "مدارج السالكين" (٢/ ١٥٥).

الجواب: قال العلامة ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ نقلًا عن شيخه: وكان يقول: الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر عن اجتناب المحرمات وأفضل؛ فإن مصلحة أداء الطاعات أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية. اهـ([1])

الصبر على ثلاثة أنواع:

١) صبر بالله. ٢) صبر لله. ٣) صبر مع الله.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: **فَالْأَوَّلُ**: صَبْرُ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ...، وَأَنَّ صَبْرَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [النحل:١٢٧] يَعْنِي: إِنْ لَمْ يُصَبِّرْكَ هُوَ لَمْ تَصْبِرْ.

وَالثَّانِي: الصَّبْرُ للهِ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ مَحَبَّةَ اللهِ، وَإِرَادَةَ وَجْهِهِ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ، لَا لِإِظْهَارِهِ قُوَّةَ النَّفْسِ، وَالِاسْتِحْمَادَ إِلَى الْخَلْقِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ.

وَالثَّالِثُ: الصَّبْرُ مَعَ اللهِ، وَهُوَ دَوَرَانُ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ اللهِ الدِّينِيِّ مِنْهُ. وَمَعَ أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ، صَابِرًا نَفْسَهُ مَعَهَا، سَائِرًا بِسَيْرِهَا، مُقِيمًا بِإِقَامَتِهَا، يَتَوَجَّهُ مَعَهَا أَيْنَ تَوَجَّهَتْ رَكَائِبُهَا. اهـ([2])

فائدة: الأسباب المعينة على الصبر لمن ابتلي:

---

[1] () "مدارج السالكين" (٢/ ١٥٦).

[2] () المصدر السابق.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تَبْعَثُ الْمُتَلَبِّسَ بِهَا عَلَى الصَّبْرِ فِي الْبَلَاءِ:

إِحْدَاهَا: مُلَاحَظَةُ حُسْنِ الْجَزَاءِ، وَعَلَى حَسَبِ مُلَاحَظَتِهِ، وَالْوُثُوقِ بِهِ، وَمُطَالَعَتِهِ، يُخَفَّفُ حِمْلُ الْبَلَاءِ؛ لِشُهُودِ الْعِوَضِ.

وَالثَّانِي: انْتِظَارُ رُوحِ الْفَرَجِ، يَعْنِي: رَاحَتَهُ، وَنَسِيمَهُ، وَلَذَّتَهُ، فَإِنَّ انْتِظَارَهُ، وَمُطَالَعَتَهُ، وَتَرَقُّبَهُ؛ يُخَفِّفُ حَمْلَ الْمَشَقَّةِ.

وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ.

وَالثَّالِثُ: تَهْوِيْنُ الْبَلِيَّةِ بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَعُدَّ نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُ، فَإِذَا عَجَزَ عَنْ عَدِّهَا، وَأَيِسَ مِنْ حَصْرِهَا، هَانَ عَلَيْهِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ.

الثَّانِي: تَذَكُّرُ سَوَالِفِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ. اهـ([1])

****

قوله: وإذا أذنب استغفر.

أي: طلب مغفرة الله، و(إذا): تفيد التحقيق.

قوله: استغفر.

لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وخيرُ**

---

[1] () "مدارج السالكين" (٢/ ١٦٦).

الخطَّائينَ التَّوابُونَ». ([1])

قوله: أذنب.

أي: وقع في الإثم.

[1] () رواه الترمذي والحاكم، وله شواهد يحسن بهاوهو في "صحيح الترغيب" (٣١٣٩).

كيفية الانتهاء من الذنب؟

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨]، أَيْ: إِذَا انْتَهَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ غُفِرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ، فَالِانْتِهَاءُ عَنْ الذَّنْبِ هُوَ التَّوْبَةُ مِنْهُ، مَنْ انْتَهَى عَنْ ذَنْبٍ غُفِرَ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْهُ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنْ ذَنْبٍ فَلَا يَجِبُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ مَا سَلَفَ لِانْتِهَائِهِ عَنْ ذَنْبٍ آخَرَ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ. ([1])وقال رحمه الله(وَالتَّطْهِيرُ عَنِ الذَّنْبِ إِمَّا بِأَنْ لَا يَفْعَلَهُ الْعَبْدُ، وَإِمَّا بِأَنْ يَتُوبَ مِنْهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [سُورَةُ التَّوْبَةِ: ١٠٣])([2])

قوله: استغفر.

أي: استغفر الله.

لماذا حذف المفعول به الله، لفظ الجلالة؟

الجواب: للعلم به، وأنه لا تطلب المغفرة إلا منه.

والسين في استغفر: تدل على الطلب.

تعريف التوبة:

([1]) "مجموع الفتاوى" (١١/ ٧٠٢).

([2]) " منهاج السنة النبوية "(٧/ ٨٠).

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: هُوَ مَحْوُ الذَّنْبِ، وَإِزَالَةُ أَثَرِهِ، وَوِقَايَةُ شَرِّهِ. (١)

أيهما أنفع للعبد التسبيح أم الاستغفار؟

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: قلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يومًا: سئل بعض

فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

أهل العلم أيهما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟

فقال: إذا كان الثوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنسًا فالصابون والماء الحار أنفع له، فقال لي رَحِمَهُ اللَّهُ: فكيف والثياب لا تزال دنسة. (٢)

❐ مسألة: ما هو الاستغفار؟

الجواب: قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: ولم يكن الاستغفار كاملًا تامًا وهو المصحوب بمفارقة الذنب، والندم عليه، وهذا هو الاستغفار النافع، لا استغفار من في يديه قدح السكر، وهو يقول: أستغفر، ثم يرفعه إلى فيه. اهـ (٣)

****

قوله: فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

١() "مدارج السالكين" (١/ ٣١٤).

٢() "الوابل الصيب" (١/ ١٢٣).

٣() "مدارج السالكين" (١/ ١٤٢).

الفاء: للتعليل، وإن: حرف توكيد ونصب.

لماذا أكد كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ بإن؟

الجواب: لئلا يحصل لقارئها، ودارسها، وسامعها شك، والثلاث اسم عدد، أي: المعدودة بالثلاث، وعُـنوان: بكسر العين، وضمها، والمعنى أن العنوان: هو كل ما يستدل بالشيء عليه ويظهره. ([1])

قوله: السعادة.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: السَّعَادَة الْحَقِيقِيَّة: وَهِي سَعَادَة نفسانية روحية قلبية، وَهِي سَعَادَة الْعلم النافع وثَمَرَته، فإنها هِيَ الْبَاقِيَة على تقلب الأحوال، والمصاحبة للْعَبد فِي جَمِيع أسفاره، وَفِي دوره الثَّلَاثَة -أعني: دَار الدُّنْيَا، وَدَار البرزخ، وَدَار الْقَرار- وَبهَا يترقى فِي معارج الْفضل، ودرجات الْكَمَال. اهـ([2])

❑ لماذا حصر الشيخ هذه الثلاث؟

الجواب: لأن العبد لا ينفك عنها.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا ينفك عبد عنها أبدًا -يعني النعمة، والبلية،

---

[1] () "لسان العرب"، و" المصباح المنير".

[2] () "مفتاح دار السعادة" (١٠٨).

والذنب- فإن العبد دائم التقلب بين هذه الأطباق الثلاث. اهـ ([1])

❊❊❊❊

[1] () "الوابل الصيب" (٦).

قوله: اعلم.

المقصود منها تنبيه المتعلم إلى ما بعد اعلم من العلوم المهمة، وهو تنبيه السامع لما يلقى عليه من الخبر.

وفي حاشية الأصول الثلاثة لعبد الرحمن بن القاسم رَحِمَهُ اللهُ قال: اعلم: فعل أمر من العلم، وهو: حكم الذهن الجازم المطابق للواقع. أي: كن متهيئا، ومتفهمًا لما يُلْقَى إليك من العلوم، وكلمة (اعلم) يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة التي ينبغي للمتعلم أن يصغي إلى ما يلقى إليه منها. ([١])

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: الْعِلْمُ الَّذِي هُوَ الْعِلْمُ الْمُعْتَبَرُ شَرْعًا -أَعْنِي الذي مدح الله ورسوله ﷺ أَهْلَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ- هُوَ: الْعِلْمُ الْبَاعِثُ عَلَى الْعَمَلِ، الَّذِي لَا يُخلي صَاحِبَهُ جَارِيًا مَعَ هَوَاهُ كَيْفَمَا كَانَ. اهـ([٢])

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: والمراد بالعلم: العلم الشرعي، الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته، ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له

[١] () "حاشية الأصول الثلاثة" لابن القاسم (٩).

[٢] () "الموافقات" (١/ ٨٩).

من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص. (١)

قوله: أرشدك الله.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: رَشَدَ: الرَّاءُ وَالشِّينُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِقَامَةِ الطَّرِيقِ، **فَالمَرَاشِدُ**: مَقَاصِدُ الطُّرُقِ، **وَالرُّشْدُ، وَالرَّشَدُ**: خِلَافُ الْغَيِّ، وَأَصَابَ فُلَانٌ مِنْ أَمْرِهِ رُشْدًا، وَرَشَدًا، وَرِشْدَةً. وَهُوَ لِرِاشْدَةٍ خِلَافٌ لِغَيَّةٍ. (٢)

والمراد بهذا: الدعاء للمتعلم بأن يهديه الله إلى طاعته، ويوفقه لسلوك سبيلها.

تعريف الرشد:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **الرُّشْدُ**: الْعَمَلُ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ، **وَالْغَيُّ**: الْعَمَلُ الَّذِي يَضُرُّ صَاحِبَهُ، فَعَمَلُ الْخَيْرِ رُشْدٌ، وَعَمَلُ الشَّرِّ غَيٌّ. اهـ (٣)

❐ ما الفرق بين الرشد والهدى؟

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن الرشد: هو العلم بما ينفع، والعمل به، والرشد والهدى إذا أفرد كل منهما تضمن الآخر، وإذا قرن أحدهما بالآخر فالهدى: هو

١() "فتح الباري" ابن حجر (١ / ١٤١).

٢() "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (٢ / ٣٩٨).

٣() "الفتاوى" (١٠/ ٥٦٩).

العلم بالحق، والرشد: هو العمل به، وضدهما الغي واتباع الهوى. ([1])

وقد قال المصنف النجدي رحمه الله -رَحِمَهُ اللَّهُ- في معنى الطاغوت-: الرشد: دين محمد ﷺ، والغي: دين أبي جهل. اهـ

والراشد: هو من صلح علمه وعمله، وكان مستقيمًا على طريق الحق.

وقد كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه دعاء الله أن يرزقهم الرشاد، كما في حديث عمران رضي الله عنه في "الصحيح المسند": أنه علم حصينًا أن يدندن بهؤلاء الكلمات: «**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي**».

قوله: لطاعته.

الطاعة لغة: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: طوع: الطاء والواو والعين أصل صحيح واحد يدل على الإصحاب والانقياد، يقال: طاعه يطوعه، إذا انقاد معه ومضى لأمره، وأطاعه: بمعنى طاع له. ([2])

والطاعة: فعل المأمور، وترك المحذور.

وقيل: موافقة أمر الله الشرعي.

وقيل: موافقة المراد فعلًا للمأمور، وتركًا للمحذور.

---

[1] () "إغاثة اللهفان" (٢ / ١٦٨).

[2] () "معجم مقاييس اللغة" (٣ / ٤٣١).

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: الطاعة كل ما فيه رضى وتقرب إلى الله عز وجل. اهـ ([1])

❐ **الفرق بين الطاعة والعبادة؟**

قال الكفوي رَحِمَهُ اللَّهُ: الطاعة: أَعم من الْعِبَادَة؛ لِأَن الْعِبَادَة غلب اسْتِعْمَالهَا فِي تَعْظِيم الله غَايَة التَّعْظِيم، وَالطَّاعَة تسْتَعْمل لموافقة أَمر الله وَأمر غَيره. اهـ ([2])

وقال أبو هلال العسكري رَحِمَهُ اللَّهُ: إِن الْعِبَادَة غَايَة الخضوع، وَلَا تسْتَحقّ إِلَّا بغاية الإنعام، وَلِهَذَا لَا يجوز أَن يعبد غير الله تَعَالَى، وَلَا تكون الْعِبَادَة إِلَّا مَعَ الْمعرفَة بالمعبود، وَالطَّاعَة الْفِعْل الْوَاقِع على حسب مَا أَرَادَهُ المريد مَتى كَانَ المريد أَعلَى رُتْبَة مِمَّن يفعل ذَلِك، وَتَكون للخالق والمخلوق، وَالْعِبَادَة لَا تكون إِلَّا للخالق وَالطَّاعَة فِي مجَاز اللُّغَة تكون اتِّبَاع الْمَدْعُو الدَّاعِي إِلَى مَا دَعَاهُ إليه وإن لم يقْصد التبع كالإنسان يكون مُطيعًا للشَّيْطَان وَإِن لم يقْصد أَن يطيعه وَلكنه اتبع دَعَاهُ وإرادته. اهـ ([3])

وقوله: أرشدك الله لطاعته.

يدل على شفقة المؤلف، ونصحه للمتعلم، وتمنيه له بأن يكون في أعلى المراتب.

---

[1] () "معجم مقاييس اللغة"، و"لسان العرب"، و"مختار الصحاح".

[2] () الكليات (١/ ٥٨٣).

[3] () "الفروق اللغوية" للعسكري (١/ ٢٢١).

قوله: الحنيفية.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: والحنيفية: ملة إبراهيم، والحنيف في اللغة: من كان على ملة إبراهيم. ([1]).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَنَفُ: الْمَيْلُ عَنْ الشَّيْءِ بِالْإِقْبَالِ عَلَى آخَرَ؛ فَالدِّينُ الْحَنِيفُ: هُوَ الْإِقْبَالُ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ، وَهُوَ الْإِخْلَاصُ الَّذِي تَرْجَمَتْهُ كَلِمَةُ الْحَقِّ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: لَا إلَهَ إلَّا اللهُ. اهـ ([2])

وَالْحَنِيفُ: الْمَائِلُ إِلَى الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ [آل عمران:٦٧]، وَالْأَصْلُ هَذَا، ثَمَّ يُتَّسِعُ فِي تَفْسِيرِهِ، فَيُقَالُ: الْحَنِيفُ النَّاسِكُ، وَيُقَالُ: هُوَ الْمَخْتُونُ، وَيُقَالُ: هُوَ الْمُسْتَقِيمُ الطَّرِيقَةِ، وَيُقَالُ: هُوَ يَتَحَنَّفُ، أَيْ يَتَحَرَّى أَقْوَمَ الطَّرِيقِ. ([3])

❒ مسألة: كيف تعرف الحنيفية؟

الجواب: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: والقرآن كله يدل على أن الحنيفية هي ملة إبراهيم، وأنها عبادة الله وحده، وهي البراءة من الشرك. اهـ ([4])

---

[1] () "فتح الباري" (١/ ٩٤).

[2] () "مجموع الفتاوى" (٩/ ٣١٩).

[3] () "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (٢/ ١١٠-١١١).

[4] () "مجموع الفتاوى" (٩/ ٣١٩)، و"شفاء العليل" (١/ ٢٨٦)، و"درء التعارض" (٨/ ٣٢٠).

وفي عمدة القاري قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والحنيف عِنْد الْعَرَب: من كَانَ على مِلَّة إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام . (١)

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ – في سياق كلام له–: «**وإني خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا، وحرمت عليهم ما أحللت لهم**»، قال فأخبر سبحانه أنه إنما فطر عباده على الحنيفة المتضمنة لكمال حبه، والخضوع له، والذل له، وكمال طاعته وحده دون غيره. (٢)

❐ ما هو الحنيف عند العرب؟

الجواب: ذكر جماعة من أهل العلم أن الحنيف عند العرب يطلق على من كان على دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ. اهـ (٣)

قوله: ملة.

هي: الدين والشريعة والطريقة التي يسار عليها تدينًا وتعبدًا منه، فقال الله: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، فهي اسم لكل ما شرعه الله لعباده على ألسن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وملة إبراهيم خير الملل، قال الله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ

١() "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" (٢ / ١٢٨).

٢() "مفتاح دار السعادة منشور ولاية العلم والإرادة" (٢ / ٨٧).

٣() لطائف المعارف (١/ ٩٤).

عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [البقرة:١٣٠]. اهـ (١)

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وسمي إبراهيم حنيفًا لميله عن الباطل إلى الحق؛ لأن أصل الحنف: الميل والسمحة السهلة، أي: أنها مبنيه على السهولة لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ [الحج:٧٨]. (٢)

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد يحتمل أن تكون ملة إبراهيم المأمور باتباعها التوحيد، بدليل قوله: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة:٤٨] (٣)، وهو الصواب هنا.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأما قَوْلكُم إِن الْمِلَّة هِيَ التَّوْحِيد، فالملة هِيَ الدّين، وَهِي مَجْمُوعَة أَقْوَال، وأفعال، واعتقاد، وَدخُول الْأَعْمَال فِي الْمِلَّة كدخول الْإِيمَان، فالملة هِيَ الْفطْرَة، وَهِي الدّين، ومحال أَن يَأْمر الله سُبْحَانَهُ بِاتِّبَاع إِبْرَاهِيم فِي مُجَرّد الْكَلِمَة دون الْأَعْمَال، وخصال الْفطْرَة، وَإِنَّمَا أَمر بمتابعه فِي توحيده، وأقواله، وأفعاله. (٤)

قوله: إبراهيم.

١() "مفردات الراغب"، و"تعريفات الجرجاني"، و"النهاية".

٢() "فتح الباري" (١/ ٩٤).

٣() "التمهيد" (٢١ / ٥٩).

٤() "تحفة المودود" (١٧٨).

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِن إِبْرَاهِيم بالسُّرْيَانيَّة مَعْنَاهُ أَب رَحِيم. اهـ (١)

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقَولُه تَعَالَى: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣]، فَعَلِمَ أَنَّ الِائْتِمَام بِإِبْرَاهِيمَ مِنْ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ. (٢)

من خصائص إبراهيم:

١) اتخذه الله خليلاً؛ لأنه إمام الحنفاء، قال الله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء].

٢) أنه أبو الأنبياء؛ لأنهم من ذريته، قال الله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

٣) جعله الله إمامًا للناس، قال الله: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤].

٤) جعله الله قدوة للناس، قال الله: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النساء:١٢٥].

٥) جعله الله أمة لوحده، قال الله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:١٢٠].

(٣)

❑ لماذا نسبت الملة لإبراهيم وخص بها؟

الجواب: لأنه واجه أمرًا عظيمًا في تحطيم الشرك، وحصلت له عداوة من

---

(١) "جلاء الأفهام" (٢٦٧)، "تفسر القرطبي" (٢/ ٩٦).

(٢) "فتح الباري" ابن حجر (٨ / ١٦٩).

(٣) "يراجع شرح الشيخ محمد باجمال على المتن ".

أقرب الناس إليه كما أخبرنا الله في كتابه الكريم.

وأما لماذا خص بها إبراهيم؟ فقد قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ**: فَكَيْفَ أُضِيفَ الْحَنِيفِيَّةُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَتْبَاعِهِ عَلَى مِلَّتِهِ خَاصَّةً دُونَ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ وَأَتْبَاعِهِمْ؟

قِيلَ: إِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ كَانَ حَنِيفًا مُتَّبِعًا طَاعَةَ اللهِ، وَلَكِنَّ اللهَ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- لَمْ يَجْعَلْ أَحَدًا مِنْهُمْ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، كَالَّذِي فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ، فَجَعَلَهُ إِمَامًا فِيمَا بَيَّنَهُ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ وَالْخِتَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإسلام، يقتدى بِهِ أَبَدًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَجَعَلَ مَا سَنَّ مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا مُمَيِّزًا بَيْنَ مُؤْمِنِي عِبَادِهِ وَكُفَّارِهِمْ، وَالْمُطِيعِ مِنْهُمْ لَهُ وَالْعَاصِي، فَسُمِّيَ الْحَنِيفُ مِنَ النَّاسِ حَنِيفًا بِاتِّبَاعِهِ مِلَّتَهُ، وَاسْتِقَامَتِهِ عَلَى هَدْيِهِ وَمِنْهَاجِهِ، وَسُمِّيَ الضَّالُّ عَنْ مِلَّتِهِ بِسَائِرِ أَسْمَاءِ الْمِلَلِ، فَقِيلَ: يَهُودِيٌّ، وَنَصْرَانِيٌّ، وَمَجُوسِيٌّ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْمِلَلِ. ([1])

قوله: أن تعبد.

العبادة لغة: مادة العين والباء والدال تدل على معنيين: لين وذل، وشدة وغلظ. ([2])

---

[1] () "تفسير الطبري" (٢ / ٥٩٥).

[2] () "مقاييس اللغة".

وهي مصدر عبد، يعبد، عبادة، أي: أطاعه.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِن حَقِيقَة الْعِبَادَة هِيَ الْحبّ والذل. ([1])

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: الأصل الخامس: أن العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل، ولم تستعمل إلا في الخضوع لله؛ لأنه مولى أعظم النعم، وكان لذلك حقيقًا بأقصى غاية الخضوع، كما في "الكشاف".

ثم إن رأس العبادة وأساسها التوحيد لله، التوحيد الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل، وهي قول: لا إله إلا الله، والمراد اعتقاد معناها، والعمل بمقتضاها، لا مجرد قولها باللسان.

ومعناها: إفراد الله بالعبادة والإلهية، والنفي والبراءة من كل معبود دونه، وقد علم الكفار هذا المعنى؛ لأنهم أهل اللسان العربي، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص]. ([2])

وذكر الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ في "مفرداته": أن العبودية إظهار التذلل، فقال: والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى. اهـ

والعبادة على معنيين في القرآن:

---

[1] () "جلاء الأفهام" (١٨٦).

[2] () "تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد" (٩).

الأول: بمعنى التوحيد: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٣٦]، أي: وحدوه.

الثاني: الطاعة، قال الله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠﴾ [سبأ] (١).

تنبيه:

العبادة تجتمع على أصلين: غاية العبادة (الحب)، وغاية التذلل والخضوع، فمن أحبه ولم يكن خاضعًا له لم يكن عابدًا له، ومن خضع له ولم يكن محبًا له لم يكن عابدًا له حتى يكون محبًا معظمًا له.

العبادة اصطلاحًا: سُئِلَ شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، فما العبادة وفروعها؟... وليبسطوا لنا القول في ذلك؟

فأجاب: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْعِبَادَةُ: هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الْأَقْوَالِ، وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، [وزاد حافظ الحكمي: والبراءة مما ينافي ذلك ويضاده. (٢)]، ... وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ الْعِبَادَةِ، وَكَذَلِكَ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَخَشْيَةُ اللهِ، وَالْإِنَابَةُ إلَيْهِ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ، وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ، وَالشُّكْرُ لِنِعَمِهِ، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ، وَالْخَوْفُ لِعَذَابِهِ،

---

(١) "المدارج" (١/ ٨٥)، وانظر: "نزهة الأعين النواظر" (٤٣١-٤٣٢)، "نضرة النعيم" (٧/ ٢٧٤٣).

(٢) "أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة" (٧).

وَأَمْثَالُ ذَلِكَ هِيَ مِنْ الْعِبَادَةِ للهِ. ([1])

وذكر الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ أنواع العبادات فقال: فصل: إذا عرفت هذه الأصول فاعلم أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعًا:

اعتقادية: وهي أساسها، وذلك أن يعتقد أنه الرب الواحد الأحد، الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، وأنه الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك من لوازم الألوهية.

ومنها اللفظية: وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله، وكان كإبليس، فإنه يعتقد التوحيد، بل ويقر به -كما أسلفنا عنه-، إلا أنه لم يمتثل أمر الله فكفر، ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه، وحسابه على الله، وحكمه حكم المنافقين.

وبدنية: كالقيام، والركوع، والسجود في الصلاة، ومنها: الصوم، وأفعال الحج والطواف.

ومالية: كإخراج جزء من المال؛ امتثالًا لما أمر الله تعالى به، وأنواع الواجبات والمندوبات في الأموال، والأبدان، والأفعال، والأقوال كثيرة لكن هذه أمهاتها. ([2])

---

[1] () "مجموع الفتاوى" (١٠/ ١٤٩-١٥٠).

[2] () "تطهير الاعتقاد" (١٠ ، ٥٤).

❐ كيف تعرف العبادة؟

الجواب: تعرف العبادات بثلاثة أمور:

١) إذا أمر الله بهذا الفعل، كالصلاة وغيرها.

٢) إذا نهى الله عن صرف هذا الفعل لغيره، كقوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام:١٦٣].

٣) إذا مدح الله الفعل، أو الفاعل، مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون].

وأراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ إخلاص العبادة لله، وأن لا يشرك في عبادة الله.

قوله: مخلصًا.

الإخلاص لغة: قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خلص: الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه، يقولون: خلصته من كذا، وخلص هو، وخلاصة السمن: ما ألقي فيه من تمر أو سويق ليخلص به. ([1])

---

[1] () "معجم مقاييس اللغة" (٢ / ٢٠٨)، و"مفردات الراغب".

وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: خَلَصَ الشيء بالفتح يخلص خلوصًا، وخلاصًا، إذا كان قد نشب ثم نجى وسلم. (١)

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: الإخلاص تخليص القلب من كل شوبٍ يكدر صفائه. (٢)

واصطلاحًا: قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: قصد المعبود وحده بالتعبد. (٣)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن الإخلاص: هو تجريد القصد؛ طاعة للمعبود، ولم يأمر إلا بهذا. (٤)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن الإخلاص: هو إفراد المعبود عن غيره. (٥)

وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: الإخلاص: هو كمال الدين، وأعم ذلك البراءة من الشرك، بأن لا تتخذ مع الله إلها آخر؛ لأن الشرك في الإلهية لا تصح معه المعاملة بالعبادة، وأخص منه الإخلاص بالبراءة من الشرك الخفي، بأن لا يرى لله تعالى شريكًا في شيء من أسمائه الظاهرة، فإن الشرك في أسمائه تعالى لا يصح معه

١() لسان العرب

٢() "التوقيف على مهمات التعريف" للمناوي (٤٢).

٣() قاله ابن القيم في "المدارج" (١/ ٥٢٤).

٤() "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (٢ / ١٨٢).

٥() "مدارج السالكين" (١/ ١١٠).

قبول.([1])

وللمزيد راجع "المدارج" لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ([2])، عند قوله: فصل منزلة الإخلاص.

حكم العمل بغير الإخلاص؟

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا ينقل ولا ينفعه، وهو ليس له من هذا الجراب والحمل إلا التعب، فمن حمل التراب على ظهره فإن ذلك لا ينفعه؛ لأنه لا نفع فيه. ([3])

وهنالك مبحث مهم من كلام العثيمين رحمه الله رَحِمَهُ اللَّهُ على أهمية الإخلاص فراجعه إن شئت من "الشرح المختصر على بلوغ المرام" (٤ / ٤٤).

من آثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في الإخلاص.

قال أبو سليمان الدّاراني رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرّياء. ([4])

قال الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ

---

[1] () "فيض القدير شرح الجامع الصغير" (١ / ٢١٧).

[2] () (٢/ ٨٨).

[3] () "المدارج" (٢/ ٩٢)، "الفوائد" (٤٩).

[4] () "مدارج السالكين" (٢/ ٩٦).

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]-: هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا عليّ ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتّى يكون خالصًا صوابًا.

الخالص: ما كان لله، والصّواب: ما كان على السّنّة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]. ([1])

قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]-: وهذان ركنا العمل المتقبّل، لا بدّ أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ ([2]).

فوائد الإخلاص

١) أنه الأساس في قبول الأعمال والأقوال.

٢) أنه هو الأساس في قبول الدّعاء.

٣) أنه يرفع منزلة الإنسان في الدّنيا والآخرة.

٤) أنه يزيل عن الإنسان الوساوس والأوهام.

٥) أنه يحرّر العبد من عبوديّة غير الله.

٦) أنه يقوّي العلاقات الاجتماعيّة، وينصر الله به الأمّة.

---

[1] () "مدارج السالكين" (١/ ١٠٥).

[2] () "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ١١٤).

٧) أنه يفرّج شدائد الإنسان في الدّنيا.

٨) أنه يحقّق الطّمأنينة لقلب الإنسان، ويجعله يشعر بالسّعادة.

٩) أنه يقوّي إيمان الإنسان، ويكرّه إليه الفسوق والعصيان.

١٠) أنه يقوّي عزيمة الإنسان وإرادته في مواجهه الشّدائد.

١١) يحصل به كمال الأمن والاهتداء في الدّنيا والآخرة.

قوله: الدين.

أي: العمل، وهي العبادة، سواء كانت تتعلق بالقلب، أو باللسان، أو الجوارح.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: دَيَنَ: الدَّالُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ إِلَيْهِ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ كُلُّهَا، وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الِانْقِيَادِ، وَالذُّلِّ.

فَالدِّينُ: الطَّاعَةُ، يُقَالُ: دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، إِذَا أَصْحَبَ وَانْقَادَ وَطَاعَ: وقوم دين: أي مطيعون منقادون. ([1])

وذكر شيخ الإسلام معنى الدين فقال -رَحِمَهُ اللَّهُ عند قول الله ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]-: والدين: هو العبادة، والطاعة، والذل ونحو ذلك،

---

[1] () "مقاييس اللغة" (٢/ ٣١٩).

يقال: دِنْتُه فَدَانَ: أي ذللته فَذَلّ. ([1]).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: فدين الله عبادته، وطاعته، والخضوع له. ([2])

وللدين معاني كثيرة. ([3])

قوله: وبذلك.

أي: بإخلاص الدين، والعبادة لله، فالدعاء مثلًا من أجل العبادات فوجب إخلاصه لله، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فَكُلُّ مَا يَفْعَلُهُ الْمُسْلِمُ مِنْ الْقُرَبِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ، كَالْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ، وَمَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْإِحْسَانِ إلَى عِبَادِ اللَّهِ بِالنَّفْعِ وَالْمَالِ، هُوَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَفْعَلَهُ خَالِصًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا يَطْلُبُ مِنْ مَخْلُوقٍ عَلَيْهِ جَزَاءً، لَا دُعَاءً وَلَا غَيْرَ دُعَاءٍ، فَهَذَا مِمَّا لَا يَسُوغُ أَنْ يَطْلُبَ عَلَيْهِ

---

[1] () "مجموع الفتاوى" (٥ / ٢٣٨).

[2] () "مجموع الفتاوى" (١٠/ ١٥٢).

[3] () تراجع في كتاب "الزهد في معاني كلمات الناس" (٢/ ٢٥٧).

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

جَزَاءً، لَا دُعَاءً وَلَا غَيْرَهُ. (١)

قوله: وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها. (٢)

****

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: إِنَّمَا خَلَقْتُهُمْ لِآمُرَهُمْ بِعِبَادَتِي، لَا لِاحْتِيَاجِي إِلَيْهِمْ. (٣)

ومعنى يعبدون: يفردون بالعبادة.

وقال الشيخ محمد بن أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على المتن: اللام في ليعبدون: لام الحكمة، وهي التي يسميها النحاة: لام العلة، فالعلة والحكمة من خلق الجن والانس عبادة الله، وليعرفوه، وليوحدوه، وليخلصوا له العبادة، ليكونوا عبيدًا له وحده لا شركة فيه؛ لهذا خلقهم.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو عبادة الله

١() "مجموع الفتاوى" (١/ ١٩٠).

٢() زيادة من "العقد الفريد".

٣() "تفسير ابن كثير" (٧/ ٤٢٥).

وحده، فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئًا فقد وحده، ومن عبد من دونه شيئًا من الأشياء فهو مشرك به ليس بموحد. (١)

وذكر البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ -: عن ابن عباس أنه قال: كَلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ من العبادة فمعناه التَّوْحِيدُ(٢).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأصل الدّين عبَادَة الله وَحده لَا شريك لَهُ، كَمَا اتّفق على ذَلِك جَمِيع الرُّسُل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء]. (٣)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ٤٥﴾ [الزخرف]، أَيْ: جَمِيعُ الرُّسُلِ دَعَوْا إِلَى مَا دَعَوْتَ النَّاسَ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَهَوْا عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، كَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]. (٤)

****

١() "بيان تلبيس الجهمية" (١ / ٤٧٨).

٢() في تفسيره " (١ / ٩٣)".

٣() "مختصر الفتاوى المصرية" (٣١٠).

٤() "تفسير ابن كثير" (٧/ ٢٠٠).

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

قوله: فإذا عرفت هذا.

معناها: العلم الجازم، والخطاب لقارئ هذه الرسالة، وسامعها، هذا تفريع بناءً على أصلٍ، وهو أنه لما تقرر عندنا أن العبادة هي المقصودة من الوجود، وأن الله إنما خلقنا لعبادته، فرَّع على ذلك ببيان العبادة التي أمرنا بها، وأنها لا تستقيم إلا بالتوحيد الذي هو غاية الوجود، فالرجل الذي يصلي لله، ويحج لله، ويزكي، ويصوم، لكنه يتعلق قلبه في دفع الكربات بغير الله، هل حقق العبادة؟

الجواب: إنه لم يحقق العبادة؛ لأن العبادة التي أمرنا بها هي أن نخلص العبادة له وحده لا شريك له.

فائدة:

عبر بالمعرفة؛ لأنها أخص من العلم، كما ذكر ذلك ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: المعرفة أخص من العلم. ([1])

قال الجرجاني -رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريف المعرف-: هي ما وضع ليدل على شيء

---

[1] () "مدارج السالكين" (١ / ١٢٩).

بعينه.([1])

وهناك مبحث لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ يتعلق بمعرفة التوحيد التي دعت الرسل إليه وبعثوا به، في "درء تعارض العقل والنقل" (٥ / ٢٠٤).

قوله: إلا مع التوحيد.

التوحيد لغة: مصدر من وحد، يوحد، توحيدًا.

وشرعًا: إفراد الله -عز وجل- بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

فالألوهية: إفراد الله بالعبادة.

والربوبية: إفراد الله بأفعاله.

وتوحيد الأسماء والصفات: إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو ما أثبته له رسوله ﷺ، من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل.

أقسام التوحيد

قد علمت أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام -كما مر بنا في درس في الأصول الثلاثة-، وهذا بالاستقراء.

قال بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية

---

[1] () "التعريفات".

وابن القيم، وقرره الزبيدي في "تاج العروس"، وشيخنا الشنقيطي في "أضواء البيان"، وآخرون -رحم الله الجميع-.

وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم، وفعل، وحرف، والعرب لم تَفُهْ بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء. ([1])

وهناك من زاد في التوحيد قسمًا رابعًا، وهو المتابعة، وكذلك زاد بعضهم توحيدًا خامسًا، هو توحيد الحاكمية، فهل يدخلان؟

الجواب: أما توحيد المتابعة فيندرج تحت الألوهية، وذكر الشيخ الفوزان في "دروس القرآن": أن من ترك اتباع النبي ﷺ يقال له مبتدع، ولا يقال له مشرك إلا إذا استحل فيكفر.

وأما الحاكمية: فمعناه الخروج على ولاة الأمور عند الخوارج، تحت مسمى لا حاكم إلا الله.

قوله: كما.

الكاف: للتنظير، ففيه ضرب الأمثال، والسبب في هذا المثال: أنه لما كان في زمانه الفقهاء، ويعرفون أن الصلاة لا تصح إلا بالطهارة ضرب لهم مثالًا بالتوحيد والشرك، وهذا من حسن التصنيف والتأليف، وهذا أسلوب من

---

[1] () "التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير" (٢٠).

أساليب الإقناع، ولو أنه بدأ بالتحذير من الشرك لأنكر عليه الناس، كيف إنسان يصلي، ويصوم، ويقوم، و...، ثم هو مشرك، وهذا من فقه الدعوة إلى الله.

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا أَحْكَامُهُ الْأَمْرِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ فَكُلُّهَا هَكَذَا، تَجِدُهَا مُشْتَمِلَةً عَلَى التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ، وَإِلْحَاقِ النَّظِيرِ بِنَظِيرِهِ، وَاعْتِبَارِ الشَّيْءِ بِمِثْلِهِ، وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُخْتَلِفَيْنِ، وَعَدَمِ تَسْوِيَةِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ. (١)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: فَصْلٌ: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَجْتَهِدُونَ، وَيَقِيسُونَ، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَجْتَهِدُونَ فِي النَّوَازِلِ، وَيَقِيسُونَ بَعْضَ الْأَحْكَامِ عَلَى بَعْضٍ، وَيَعْتَبِرُونَ النَّظِيرَ بِنَظِيرِهِ. (٢)

قوله: الصَّلاةَ.

الصلاة: لغة: الدعاء، قال الله: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة:١٠٣]، أي: ادع لهم.

واصطلاحًا: التعبد لله بأقوال وأفعال معلومة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم. (٣)

فائدة: أحوال المصلين:

١() "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (١/ ١٤٩)، وما بعد.

٢() في المصدر السابق (١/ ١٥٥).

٣() "الشرح الممتع" (٢/ ٥).

قال ابن القيّم رحمه الله: والنّاس في الصّلاة على مراتب خمس:

أحدها: مرتبة الظّالم لنفسه المفرّط، وهو الّذي انتقص من وضوئها، ومواقيتها، وحدودها، وأركانها.

الثّاني: من يحافظ على مواقيتها، وحدودها، وأركانها الظّاهرة، ووضوئها، لكن قد ضيّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثّالث: من يحافظ على حدودها، وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوّه؛ لئلّا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرّابع: من إذا قام إلى الصّلاة أكمل حقوقها، وأركانها، وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها، وحقوقها؛ لئلّا يضيّع شيئا منها، بل همّه كلّه مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصّلاة، وعبوديّة ربّه -تبارك وتعالى- فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصّلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربّه -عزّ وجلّ- ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له، ممتلئًا من محبّته وعظمته كأنّه يراه ويشاهده، وقد اضمحلّت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربّه، فهذا بينه وبين غيره في الصّلاة أفضل وأعظم ممّا بين السّماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربّه -عزّ وجلّ- قرير العين به.

فالقسم الأوّل معاقب، والثّاني محاسب، والثّالث مكفّر عنه، والرّابع مثاب، والخامس مقرّب من ربّه- عزّ وجلّ-. ([1])

قوله: الطهارة.

الطهارة لغة: مصدر قولهم: طهر الشّيء طهرًا، وطهارة، وهو مأخوذ من مادّة (ط هـ ر) الّتي تدلّ على نقاء، وزوال دنس، يقال: طَهر، وطُهر -بالفتح والضّمّ-، طهرًا وطهارة. المصدران عن سيبويه. ([2])

إذًا: هي النظافة والنزاهة من الأقذار الحسية، والمعنوية.

واصطلاحًا: قال الرّاغب رَحِمَهُ اللَّهُ: **الطّهارة ضربان:** طهارة جسم، وطهارة نفس، ولكلّ معناه الاصطلاحي.

فطهارة النّفس: ترك الذّنب، والعمل للصلاح، وتنقية النفس من المعايب.

وطهارة الجسم: رفع حدث، أو إزالة نجس، أو ما في معناهما وعلى صورتهما.([3])

ومعنى كلام المصنف النجدي رحمه الله: أن الصلاة لا تصح إلا مع الطهارة؛ لقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة:٦]، قال ابن كثير

---

[1] () "الوابل الصيب" (٣٨-٣٩).

[2] () "لسان العرب" لابن منظور (٤/ ٥٠٤- ٥٠٧)، و"مقاييس اللغة" (٣/ ٤٢٨).

[3] () "المجموع شرح المهذب" (١/ ٧٩)، و"المفردات" للراغب (٣٠٨).

رَحِمَهُ اللَّهُ: قالَ كَثِيرُونَ مِنَ السَّلَفِ: قَوْلُهُ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة:٦]، مَعْنَاهُ: وَأَنْتُمْ مُحْدِثون. اهـ (١)

ولحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**».

ونقل الإجماع على ذلك جماعة من العلماء.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ اللَّهُ: الطهارة واجبة للصلاة بالكتاب، والسنة، والإجماع. (٢)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: **الطّهارة أنواع منها:**

١) الطّهارة من الكفر والفسوق، كما يراد بالنّجاسة ضدّ ذلك، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨].

٢) ومنها: الطّهارة من الحدث، وضدّ هذه نجاسة الحدث.

٣) ومنها: الطّهارة من الأعيان الخبيثة الّتي هي نجسة. (٣)

ثم قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: في بيان المراد من قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر]: الآية تعم هذا كله، وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم، إن لم تتناول ذلك لفظا فإن

١() "تفسير ابن كثير" (٣ / ٤٣).

٢() "شرح العمدة" لابن تيمية (٤/ ١٤٥).

٣() "مجموع الفتاوى" (٢١/ ٦٧- ٦٨).

المأمور به إن كان طهارة القلب، فطهارة الثوب ...، وطيب مكسبه تكميل لذلك؛ فإنّ خبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة، كما أنّ خبث المطعم يكسبه ذلك، ولذلك حرّم ما حرّم من اللّباس؛ لما تكسب القلب من الهيئة المشابهة لتلك الحيوانات، الّتي تُلبس جلودها، فإنّ الملابسة الظّاهرة تسري إلى الباطن.

والمقصود: أنّ طهارة الثّوب وكونه من مكسب طيّب، وهو من تمام طهارة القلب وكمالها، فإن كان المأمور به ذلك فهو وسيلة مقصودة لغيرها، فالمقصود لنفسه أولى أن يكون مأمورًا به، وإن كان المأمور به طهارة القلب، وتزكية النّفس، فلا يتمّ إلّا بذلك، والله سبحانه بحكمته جعل الدّخول إلى جنّته موقوفًا على الطّيب والطّهارة، فلا يدخلها إلّا طيّب طاهر، فهما طهارتان: طهارة البدن، وطهارة القلب. ([1])

فائدة: معاني كلمة الطهارة في القرآن الكريم:

قال ابن الجوزيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكر أهل التّفسير أنّ **الطّهارة في القرآن على أوجه:**

١) الطّهارة من الذّنوب: ومنه قوله تعالى -في براءة-: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، وفي المجادلة: ﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ﴾ [المجادلة:١٢].

٢) الطّهارة من الأوثان: ومنه قوله تعالى -في البقرة، ومثلها في الحجّ-: ﴿

---

[1] () "إغاثة اللهفان" (١/ ٦٩) بتصرف واختصار.

أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾ [البقرة:١٢٥].

٣) ومنها: الحلال، ومنه قوله تعالى -في هود-: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [هود:٧٨]، أي: أحلّ.

٤) ومنها: طهارة القلب من الرّيبة، ومنه قوله تعالى -في البقرة-: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [البقرة:٢٣٢]، يريد: أطهر لقلب الرّجل والمرأة من الرّيبة، وفي الأحزاب: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٣]، أي: من الرّيبة والدّنس.

٥) ومنها: الطّهارة من الفاحشة، ومنه قوله تعالى -في آل عمران-: ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ [آل عمران:٤٢]. ([1])

حكم من صلى بغير طهارة مستحلا:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: من صلى بغير طهارة شرعية مستحلًا لذلك فهو كافر، وإذا لم يستحل ذلك فقد اختلف في كفره، وهو مستحق للعقوبة الغليظة. اهـ ([2])

قوله: الشرك.

---

[1] () "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" (٤١٩- ٤٢٢) باختصار.

[2] () "المجموع" (٢١/ ٢٩٥).

أي: الشرك الأكبر.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَا نَجَا مِنْ شَرَكِ هَذَا الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ إِلَّا مَنْ جَرَّدَ تَوْحِيدَهُ للهِ، وَعَادَى الْمُشْرِكِينَ فِي اللهِ، وَتَقَرَّبَ بِمَقْتِهِمْ إِلَى اللهِ. ([1])

الشرك لغة: يأتي بمعنى: النصيب، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

وقال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: الشرك: بمعنى الشريك، وهو بمعنى: النصيب.

وقال: والأشراكُ أيضًا جمع الشِّرْكِ، وهو النصيبُ. ([2])

واصطلاحًا: في "الصحيحين"، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، وهذا أجمع تعريف للشرك كما قاله عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ.

الشرك ينقسم إلى قسمين:

أولاً: قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالشِّرْكُ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللهُ، وَلَوْ ذَهَبْنَا نَذْكُرُ أَنْوَاعَهُ لَاتَّسَعَ الْكَلَامُ أَعْظَمَ اتِّسَاعٍ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُسَاعِدَ بِوَضْعِ كِتَابٍ فِيهِ،

---

[1] () "المدارج" (١/ ٣٥٤).

[2] () "تهذيب اللغة" (١٠ / ١٣).

وَفِي أَقْسَامِهِ، وَأَسْبَابِهِ، وَمَبَادِيهِ، وَمَضَرَّتِهِ، وَمَا يَنْدَفِعُ بِهِ. (١)

ثانيا: قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **فَصْلٌ الشِّرْكُ: وَأَمَّا الشِّرْكُ فَهُوَ نَوْعَانِ**: أَكْبَرُ، وَأَصْغَرُ:

فَالْأَكْبَرُ: لَا يَغْفِرُهُ اللهُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ، وَهُوَ: أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبُّ اللهَ، وَهُوَ الشِّرْكُ الَّذِي تَضَمَّنَ تَسْوِيَةَ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلِهَذَا قَالُوا لِآلِهَتِهِمْ فِي النَّارِ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء]، مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ، وَأَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَخْلُقُ، وَلَا ترْزُقُ، وَلَا تُحْيِي وَلَا تُمِيتُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ التَّسْوِيَةُ فِي الْمَحَبَّةِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالْعِبَادَةِ كَمَا هُوَ حَالُ أَكْثَرِ مُشْرِكِي الْعَالَمِ، بَلْ كُلُّهُمْ يُحِبُّونَ مَعْبُودَاتِهِمْ، وَيُعَظِّمُونَهَا، وَيُوَالُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ -بَلْ أَكْثَرُهُمْ- يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ أَعْظَمَ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِذِكْرِهِمْ أَعْظَمَ مِنِ اسْتِبْشَارِهِمْ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ، وَيَغْضَبُونَ لِمُنْتَقِصِ مَعْبُودِيهِمْ وَآلِهَتِهِمْ -مِنَ الْمَشَايِخِ- أَعْظَمَ مِمَّا يَغْضَبُونَ إِذَا انْتَقَصَ أَحَدٌ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَإِذَا انْتُهِكَتْ حُرْمَةٌ مِنْ حُرُمَاتِ آلِهَتِهِمْ وَمَعْبُودَاتِهِمْ غَضِبُوا غَضَبَ اللَّيْثِ إِذَا حَرِدَ، وَإِذَا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللهِ لَمْ يَغْضَبُوا لَهَا، بَلْ إِذَا قَامَ الْمُنْتَهِكُ لَهَا بِإِطْعَامِهِمْ شَيْئًا رَضُوا عَنْهُ، وَلَمْ تَتَنَكَّرْ لَهُ قُلُوبُهُمْ.

وَقَدْ شَاهَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْهُمْ جَهْرَةً، وَتَرَى أَحَدَهُمْ قَدِ اتَّخَذَ ذِكْرَ إِلَهِهِ وَمَعْبُودِهِ مِنْ دُونِ اللهِ عَلَى لِسَانِهِ دَيْدَنًا لَهُ إِنْ قَامَ وَإِنْ قَعَدَ، وَإِنْ عَثَرَ، وَإِنْ مَرِضَ،

---

(١) () "المدارج" (١/ ٣٤٧).

وَإِنِ اسْتَوْحَشَ، فَذِكْرُ إِلَهِهِ وَمَعْبُودِهِ مِنْ دُونِ اللهِ هُوَ الْغَالِبُ عَلَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَهُوَ لَا يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ بَابُ حَاجَتِهِ إِلَى اللهِ، وَشَفِيعُهُ عِنْدَهُ، وَوَسِيلَتُهُ إِلَيْهِ.

وَهَكَذَا كَانَ عُبَّادُ الْأَصْنَامِ سَوَاءً، وَهَذَا الْقَدْرُ هُوَ الَّذِي قَامَ بِقُلُوبِهِمْ، وَتَوَارَثَهُ الْمُشْرِكُونَ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ آلِهَتِهِمْ، فَأُولَئِكَ كَانَتْ آلِهَتُهُمْ مِنَ الْحَجَرِ وَغَيْرُهُمُ اتَّخَذُوهَا مِنَ الْبَشَرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى، حَاكِيًا عَنْ أَسْلَافِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ [الزمر]، ثُمَّ شَهِدَ عَلَيْهِمْ بِالْكُفْرِ وَالْكَذِبِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣﴾ [الزمر]، فَهَذِهِ حَالُ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا، يَزْعُمُ أَنَّهُ يُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ، وَمَا أَعَزَّ مَنْ يَخْلُصُ مِنْ هَذَا؟ بَلْ مَا أَعَزَّ مَنْ لَا يُعَادِي مَنْ أَنْكَرَهُ!.

وَالَّذِي فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ وَسَلَفِهِمْ أَنَّ آلِهَتَهُمْ تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ، وَهَذَا عَيْنُ الشِّرْكِ، وَقَدْ أَنْكَرَ اللهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ وَأَبْطَلَهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ اللهُ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ، وَرَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، وَهُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ، الَّذِينَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَأْذَنُ لِمَنْ شَاءَ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ، حَيْثُ لَمْ يَتَّخِذْهُمْ شُفَعَاءَ مِنْ دُونِهِ، فَيَكُونُ أَسْعَدَ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ مَنْ يَأْذَنُ اللهُ لَهُ صَاحِبُ التَّوْحِيدِ، الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ شَفِيعًا مِنْ دُونِ اللهِ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ.

وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ هِيَ الشَّفَاعَةُ الصَّادِرَةُ عَنْ إِذْنِهِ لِمَنْ وَحَّدَهُ.

وَالَّتِي نَفَاهَا اللهُ هِيَ الشَّفَاعَةُ الشِّرْكِيَّةُ، الَّتِي فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ، الْمُتَّخِذِينَ مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ، فَيُعَامَلُونَ بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ مِنْ شُفَعَائِهِمْ، وَيَفُوزُ بِهَا الْمُوَحِّدُونَ.

وَتَأَمَّلْ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وَقَدْ سَأَلَهُ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**» كَيْفَ جَعَلَ أَعْظَمَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَالُ بِهَا شَفَاعَتُهُ تَجْرِيدَ التَّوْحِيدِ، عَكْسَ مَا عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ: أَنَّ الشَّفَاعَةَ تُنَالُ بِاتِّخَاذِهِمْ أَوْلِيَاءَهُمْ شُفَعَاءَ، وَعِبَادَتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ مِنْ دُونِ اللهِ، فَقَلَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَا فِي زَعْمِهِمُ الْكَاذِبِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ سَبَبَ الشَّفَاعَةِ هُوَ تَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ، فَحِينَئِذٍ يَأْذَنُ اللهُ لِلشَّافِعِ أَنْ يُشَفَّعَ.

وَمِنْ جَهْلِ الْمُشْرِكِ: اعْتِقَادُهُ أَنَّ مَنِ اتَّخَذَهُ وَلِيًّا، أَوْ شَفِيعًا أَنَّهُ يَشْفَعُ لَهُ، وَيَنْفَعُهُ عِنْدَ اللهِ، كَمَا يَكُونُ خَوَاصُّ الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ تَنْفَعُ شَفَاعَتُهُمْ مَنْ وَالَاهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَشْفَعُ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذَنُ فِي الشَّفَاعَةِ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

وَبَقِيَ فَصْلٌ ثَالِثٌ: وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا التَّوْحِيدَ، وَاتِّبَاعَ الرَّسُولِ، وَعَنْ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ يَسْأَلُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، كَمَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ:

كَلِمَتَانِ يُسْأَلُ عَنْهُمَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ، تَقْطَعُ شَجَرَةَ الشِّرْكِ مِنْ قَلْبِ مَنْ وَعَاهَا وَعَقَلَهَا، لَا شَفَاعَةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِمَنْ رَضِيَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ، وَلَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ إِلَّا تَوْحِيدَهُ، وَاتِّبَاعَ رَسُولِهِ، فَاللهُ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ شِرْكَ الْعَادِلِينَ بِهِ غَيْرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾ [الأنعام]، وَأَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ: أَنَّهُمْ يَعْدِلُونَ بِهِ غَيْرَهُ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْمُوَالَاةِ، وَالْمَحَبَّةِ، كَمَا فِي الآية الْأُخْرَى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [الشعراء]، وَكَمَا فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

وَتَرَى الْمُشْرِكَ يُكَذِّبُ حَالَهُ وَعَمَلَهُ قَوْلُهُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَا نُحِبُّهُمْ كَحُبِّ الله، وَلَا نُسَوِّيهِمْ بِالله، ثُمَّ يَغْضَبُ لَهُمْ وَلِحُرُمَاتِهِمْ إِذَا انْتُهِكَتْ أَعْظَمَ مِمَّا يَغْضَبُ للهَّ، وَيَسْتَبْشِرُ بِذِكْرِهِمْ، وَيَتَبَشْبَشُ بِهِ، سِيَّمَا إِذَا ذُكِرَ عَنْهُمْ مَا لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ إِغَاثَةِ اللَّهَفَاتِ، وَكَشْفِ الْكُرُبَاتِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَأَنَّهُمُ الْبَابُ بَيْنَ الله وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فَإِنَّكَ تَرَى الْمُشْرِكَ يَفْرَحُ وَيُسَرُّ وَيَحِنُّ قَلْبُهُ، وَتَهِيجُ مِنْهُ لَوَاعِجُ التَّعْظِيمِ وَالْخُضُوعِ لَهُمْ وَالْمُوَالَاةِ، وَإِذَا ذَكَرْتَ لَهُ اللهَّ وَحْدَهُ، وَجَرَّدْتَ تَوْحِيدَهُ لَحِقَتْهُ وَحْشَةٌ، وَضِيقٌ، وَحَرَجٌ وَرَمَاكَ بِنَقْصِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي لَهُ، وَرُبَّمَا عَادَاكَ، رَأَيْنَا وَالله مِنْهُمْ هَذَا عِيَانًا، وَرَمَوْنَا بِعَدَاوَتِهِمْ، وَبَغَوْا لَنَا الْغَوَائِلَ، وَاللهُ مُخْزِيهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَمْ تَكُنْ

حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا كَمَا قَالَ إِخْوَانُهُمْ: عَابَ آلِهَتَنَا، فَقَالَ هَؤُلَاءِ: تَنَقَّصْتُمْ مَشَايِخَنَا، وَأَبْوَابَ حَوَائِجِنَا إِلَى اللهِ، وَهَكَذَا قَالَ النَّصَارَى لِلنَّبِيِّ ﷺ لَمَّا قَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْمَسِيحَ عَبْدُ اللهِ، قَالُوا: تَنَقَّصْتَ الْمَسِيحَ وَعِبْتَهُ، وَهَكَذَا قَالَ أَشْبَاهُ الْمُشْرِكِينَ لِمَنْ مَنَعَ اتِّخَاذَ الْقُبُورِ أَوْثَانًا تُعْبَدُ، وَمَسَاجِدَ تُقْصَدُ، وَأَمَرَ بِزِيَارَتِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَذِنَ اللهُ فِيهِ وَرَسُولُهُ، قَالُوا: تَنَقَّصْتَ أَصْحَابَهَا فَانْظُرْ إِلَى هَذَا التَّشَابُهِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ قَدْ تَوَاصَوْا بِهِ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف].

وَقَدْ قَطَعَ اللهُ تَعَالَى كُلَّ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَعَلَّقَ بِهَا الْمُشْرِكُونَ جَمِيعًا، قَطْعًا يَعْلَمُ مَنْ تَأَمَّلَهُ وَعَرَفَهُ أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا، أَوْ شَفِيعًا، فَهُوَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

فَالْمُشْرِكُ إِنَّمَا يَتَّخِذُ مَعْبُودَهُ لِمَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ بِهِ مِنَ النَّفْعِ، وَالنَّفْعُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ: إِمَّا مَالِكٌ لِمَا يُرِيدُهُ عِبَادُهُ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَالِكًا كَانَ شَرِيكًا لِلْمَالِكِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَرِيكًا لَهُ كَانَ مُعِينًا لَهُ وَظَهِيرًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُعِينًا وَلَا ظَهِيرًا كَانَ شَفِيعًا عِنْدَهُ.

فَنَفَى سُبْحَانَهُ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ نَفْيًا مُتَرَتِّبًا، مُتَنَقِّلًا مِنَ الْأَعْلَى إِلَى مَا دُونَهُ، فَنَفَى الْمِلْكَ، وَالشِّرْكَةَ، وَالْمُظَاهَرَةَ، وَالشَّفَاعَةَ، الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُ، وَأَثْبَتَ شَفَاعَةً لَا نَصِيبَ فِيهَا لِمُشْرِكٍ، وَهِيَ الشَّفَاعَةُ بِإِذْنِهِ.

فينالشِّرْكِ وَمُوَدَّاهُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ أَمْثَالِهَا وَنَظَائِرِهَا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْعُرُونَ بِدُخُولِ الْوَاقِعِ تَحْتَهُ، وَتَضَمُّنِهِ لَهُ، وَيَظُنُّونَهُ فِي نَوْعٍ، وَفِي قَوْمٍ قَدْ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يُعْقِبُوا وَارِثًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ فَهْمِ الْقُرْآنِ.

وَلَعَمْرُ اللهِ إِنْ كَانَ أُولَئِكَ قَدْ خَلَوْا، فَقَدْ وَرِثَهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ، أَوْ شَرٌّ مِنْهُمْ، أَوْ دُونَهُمْ، وَتَنَاوُلُ الْقُرْآنِ لَهُمْ كَتَنَاوُلِهِ لِأُولَئِكَ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: (إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الإسلام عُرْوَةً عُرْوَةً؛ إِذَا نَشَأَ فِي الإسلام مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ)؛ وَهَذَا لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ وَالشِّرْكَ، وَمَا عَابَهُ الْقُرْآنُ وَذَمَّهُ وَقَعَ فِيهِ وَأَقَرَّهُ، وَدَعَا إِلَيْهِ، وَصَوَّبَهُ وَحَسَّنَهُ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، نَظِيرُهُ، أَوْ شَرٌّ مِنْهُ، أَوْ دُونَهُ، فَيَنْقُضُ بِذَلِكَ عُرَى الإسلام عَنْ قَلْبِهِ، وَيَعُودُ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَالْبِدْعَةُ سُنَّةً، وَالسُّنَّةُ بِدْعَةً، وَيَكْفُرُ الرَّجُلُ بِمَحْضِ الْإِيمَانِ وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ، وَيُبَدَّعُ بِتَجْرِيدِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمُفَارَقَةِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَمَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ وَقَلْبٌ حَيٌّ يَرَى ذَلِكَ عِيَانًا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَصْلٌ: وَأَمَّا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ: فَكَيَسِيرِ الرِّيَاءِ، وَالتَّصَنُّعِ لِلْخَلْقِ، وَالْحَلِفِ بِغَيْرِ

اللهِ، كَمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»، وَقَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَهَذَا مِنَ اللهِ وَمِنْكَ، وَإِنَّا بِاللهِ وَبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا اللهُ وَأَنْتَ، وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللهِ وَعَلَيْكَ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا شِرْكًا أَكْبَرَ بِحَسَبِ قَائِلِهِ ومقصده ، وَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ قَالَ لَهُ مَا شَاءَ اللهُ وَمَا شِئْتَ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»، وَهَذَا اللَّفْظُ أَخَفُّ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ: سُجُودُ الْمُرِيدِ لِلشَّيْخِ؛ فَإِنَّهُ شِرْكٌ مِنَ السَّاجِدِ وَالْمَسْجُودِ لَهُ، وَالْعَجَبُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَيْسَ هَذَا بِسُجُودٍ، وَإِنَّمَا هُوَ وَضْعُ الرَّأْسِ قُدَّامَ الشَّيْخِ احْتِرَامًا وَتَوَاضُعًا، فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ: وَلَوْ سَمَّيْتُمُوهُ مَا سَمَّيْتُمُوهُ، فَحَقِيقَةُ السُّجُودِ وَضْعُ الرَّأْسِ لِمَنْ يُسْجَدُ لَهُ، وَكَذَلِكَ السُّجُودُ لِلصَّنَمِ، وَلِلشَّمْسِ، وَلِلنَّجْمِ، وَلِلْحَجَرِ، كُلُّهُ وَضْعُ الرَّأْسِ قُدَّامَهُ.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: رُكُوعُ الْمُتَعَمِّمِينَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ عِنْدِ الْمُلَاقَاةِ، وَهَذَا سُجُودٌ فِي اللُّغَةِ، وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [البقرة:٥٨]، أَيْ: مُنْحَنِينَ، وَإِلَّا فَلَا يُمْكِنُ الدُّخُولُ بِالْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ: سَجَدَتِ الْأَشْجَارُ، إِذَا أَمَالَتْهَا الرِّيحُ.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: حَلْقُ الرَّأْسِ لِلشَّيْخِ؛ فَإِنَّهُ تَعَبُّدٌ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَا يُتَعَبَّدُ بِحَلْقِ الرَّأْسِ إِلَّا فِي النُّسُكِ للهِ خَاصَّةً.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: التَّوْبَةُ لِلشَّيْخِ؛ فَإِنَّهَا شِرْكٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا للهِ، كَالصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالنُّسُكِ، فَهِيَ خَالِصُ حَقِّ اللهِ، وَفِي "الْمُسْنَدِ": أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِأَسِيرٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ، وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ**»، فَالتَّوْبَةُ عِبَادَةٌ لَا تَنْبَغِي إِلَّا للهِ، كَالسُّجُودِ وَالصِّيَامِ.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ شِرْكٌ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ، فَإِذَا كَانَ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ فَكَيْفَ بِمَنْ نَذَرَ لِغَيْرِ اللهِ؟، مَعَ أَنَّ فِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنْهُ ﷺ: «**النَّذْرُ حَلْفَةٌ**».

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى غَيْرِ اللهِ، وَالْعَمَلُ لِغَيْرِ اللهِ، وَالْإِنَابَةُ وَالْخُضُوعُ، وَالذُّلُّ لِغَيْرِ اللهِ، وَابْتِغَاءُ الرِّزْقِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ، وَحَمْدُ غَيْرِهِ عَلَى مَا أَعْطَى، وَالْغُنْيَةُ بِذَلِكَ عَنْ حَمْدِهِ سُبْحَانَهُ، وَالذَّمُّ وَالسَّخَطُ عَلَى مَا لَمْ يَقْسِمْهُ، وَلَمْ يَجْرِ بِهِ الْقَدَرُ، وَإِضَافَةُ نِعَمِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَاعْتِقَادُ أَنْ يَكُونَ فِي الْكَوْنِ مَا لَا يَشَاؤُهُ.

وَمِنْ أَنْوَاعِهِ: طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الْمَوْتَى، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِهِمْ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَيْهِمْ، وَهَذَا أَصْلُ شِرْكِ الْعَالَمِ، فَإِنَّ الْمَيِّتَ قَدِ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَهُوَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَضْلًا عَمَّنِ اسْتَغَاثَ بِهِ، وَسَأَلَهُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ، أَوْ سَأَلَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ إِلَى اللهِ فِيهَا، وَهَذَا مِنْ جَهْلِهِ بِالشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ عِنْدَهُ -كَمَا تَقَدَّمَ-، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَاللهُ لَمْ يَجْعَلِ اسْتِغَاثَتَهُ وَسُؤَالَهُ سَبَبًا لِإِذْنِهِ، وَإِنَّمَا السَّبَبُ

لِإِذْنِهِ كَمَالُ التَّوْحِيدِ، فَجَاءَ هَذَا الْمُشْرِكُ بِسَبَبٍ يَمْنَعُ الْإِذْنَ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنِ اسْتَعَانَ فِي حَاجَةٍ بِمَا يَمْنَعُ حُصُولَهَا، وَهَذِهِ حَالَةُ كُلِّ مُشْرِكٍ، وَالْمَيِّتُ مُحْتَاجٌ إِلَى مَنْ يَدْعُو لَهُ، وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ، كَمَا أَوْصَانَا النَّبِيُّ ﷺ إِذَا زُرْنَا قُبُورَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ نَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ، وَنَسْأَلَ لَهُمُ الْعَافِيَةَ وَالْمَغْفِرَةَ، فَعَكَسَ الْمُشْرِكُونَ هَذَا، وَزَارُوهُمْ زِيَارَةَ الْعِبَادَةِ، وَاسْتِقْضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِهِمْ، وَجَعَلُوا قُبُورَهُمْ أَوْثَانًا تُعْبَدُ، وَسَمَّوْا قَصْدَهَا حَجًّا، وَاتَّخَذُوا عِنْدَهَا الْوَقْفَةَ، وَحَلَقَ الرَّأْسِ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ بِالْمَعْبُودِ الْحَقِّ، وَتَغْيِيرِ دِينِهِ، وَمُعَادَاةِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَنِسْبَةِ أَهْلِهِ إِلَى التَّنَقُّصِ لِلْأَمْوَاتِ، وَهُمْ قَدْ تَنَقَّصُوا الْخَالِقَ بِالشِّرْكِ، وَأَوْلِيَاءَهُ الْمُوَحِّدِينَ لَهُ، الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا بِذَمِّهِمْ وَعَيْبِهِمْ، وَمُعَادَاتِهِمْ، وَتَنَقَّصُوا مَنْ أَشْرَكُوا بِهِ غَايَةَ التَّنَقُّصِ، إِذْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ رَاضُونَ مِنْهُمْ بِهَذَا، وَأَنَّهُمْ أَمَرُوهُمْ بِهِ، وَأَنَّهُمْ يُوَالُونَهُمْ عَلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَعْدَاءُ الرُّسُلِ وَالتَّوْحِيدِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَمَا أَكْثَرَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُمْ!، وَللهِ خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦].

وَمَا نَجَا مِنْ شَرَكِ هَذَا الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ إِلَّا مَنْ جَرَّدَ تَوْحِيدَهُ للهِ، وَعَادَى الْمُشْرِكِينَ فِي اللهِ، وَتَقَرَّبَ بِمَقْتِهِمْ إِلَى اللهِ، وَاتَّخَذَ اللهَ وَحْدَهُ وَلِيَّهُ وَإِلَهَهُ وَمَعْبُودَهُ، فَجَرَّدَ حُبَّهُ للهِ، وَخَوْفَهُ للهِ، وَرَجَاءَهُ للهِ، وَذُلَّهُ للهِ، وَتَوَكُّلَهُ عَلَى اللهِ، وَاسْتِعَانَتَهُ بِاللهِ، وَالْتِجَاءَهُ إِلَى اللهِ، وَاسْتِغَاثَتَهُ بِاللهِ، وَأَخْلَصَ قَصْدَهُ للهِ، مُتَّبِعًا لِأَمْرِهِ، مُتَطَلِّبًا لِمَرْضَاتِهِ،

إِذَا سَأَلَ سَأَلَ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَانَ اسْتَعَانَ بِاللهِ، وَإِذَا عَمِلَ عَمِلَ للهِّ، فَهُوَ للهِّ، وَبِاللهِ، وَمَعَ اللهِ. ([1])

أقسام الشرك مع تعريفهما:

شرك أكبر مخرج عن الملة، وشرك دون ذلك.

القسم الأول: الشرك الأكبر: وهو كل شرك أطلقه الشارع، وهو يتضمن خروج الإنسان عن دينه.

مثل: أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة لله -عز وجل- لغير الله، كأن يصلي لغير الله، أو يصوم لغير الله، أو يذبح لغير الله.

وكذلك من الشرك الأكبر: أن يدعو غير الله -عز وجل- مثل: أن يدعو صاحب قبر، أو يدعو غائبًا؛ ليغيثه من أمر لا يقدر عليه إلا الله -عز وجل-، وأنواع الشرك معلومة فيما كتبه أهل العلم.

القسم الثاني: الشرك الأصغر: وهو كل عمل قولي، أو فعلي، أطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولكنه لا يخرج من الملة.

مثل: الحلف بغير الله، فإن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِّ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**».

الخلاصة:

---

[1] () "المدارج" (١/ ٣٤٨).

الشرك الأكبر: وهو كل شرك أطلقه الشارع، ويتضمن الخروج من الملة. ([1])

الشرك الأصغر: وهو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة للأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا. ([2])

---

[1] () "مجموع الفتاوى" لابن عثيمين (٢/ ٢٢).

[2] () "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٢٢٦)، و"مجموع فتاوى اللجنة الدائمة" (١/ ٧٤٩)، و"الجواب الكافي" (١/ ١٢٤-٢٨٧)، و"مجموع الفتاوى" (١/ ٩).

فائدة: الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

الشرك الأكبر: يخرج صاحبه من الإسلام، **والأصغر**: لا يخرج منه.

الشرك الأكبر: صاحبه يخلد في النار. **الأصغر**: لا يخلد على الصحيح.

الشرك الأكبر: يحبط جميع الأعمال، **والأصغر**: يحبط العمل الذي وقع فيه الرياء.

الشرك الأكبر: يبيح العرض، والدم، والمال، **والأصغر**: لا يبيح ذلك.

الشرك الأكبر: يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، بخلاف **الأصغر**: فينصح صاحبه ويوجه. ([1])

ولمزيد الفائدة في الكلام على الشرك الأكبر وعلى الشرك الأصغر انظر "فتاوى اللجنة الدائمة" (١ / ٧٤٦): السؤال الأول من الفتوى رقم (١٦٥٣).

قوله: فسُـدت.

بضم السين، وفتحها، وسبب فساده: الشوائب التي دخلت على قلب صاحبها، وهي الشركيات، ويكون ذلك الفساد في القلوب.

الفساد لغة: ضد الإصلاح.

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: الفاء والسين والدال كلمة واحدة، فسد الشيء يفسد،

---

[1] () "فتح المجيد كتاب التوحيد" للفوزان.

فسادًا. اهـ [١]

واصطلاحًا: قال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفَسَادُ: خروج الشيء عن الاعتدال، قليلًا كان الخروج عنه أو كثيرًا. [٢]

قال الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الْإِفْسَاد: هُوَ جعل الشَّيْء فَاسِدًا خَارِجًا عَمَّا يَنْبَغِي أَن يكون عَلَيْهِ، وَعَن كَونه مُنْتَفعًا بِهِ، وَفِي الْحَقِيقَة: هُوَ إِخْرَاج الشَّيْء عَن حَالَة محمودة لَا لغَرَض صَحِيح. [٣]

قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مبدأ التكاليف كلها ومصدرها القلب، وصلاح الأجسام موقوف على صلاح القلوب، وفساد الأجسام موقوف على فساد القلوب. اهـ [٤]

فالحذر كل الحذر من الشرك ووسائله وشباكه. [٥]

قال ابن القيّم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]-: قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والدعاء إلى غير

---

[١] "مقاييس اللغة".

[٢] "مفردات القرآن".

[٣] "الكليات" (١٥٤).

[٤] "قواعد الأحكام" (١/ ١٦٧).

[٥] راجع كلام ابن القيم عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾[الأعراف:٥٦].

طاعة الله، فإن عبادة غير الله، والدعوة إلى غيره، والشرك به هو أعظم فساد في الأرض.([1])

قال ابن الجوزي رحمه الله: الفساد: تغير الشيء عما كان عليه من الصلاح. ([2])

فائدة: من معاني كلمة الفساد في القرآن الكريم:

أحدها: المعصية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١].

والثّاني: الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢].

الثّالث: الخراب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل:٣٤].

الرّابع: المنكر، ومنه قوله تعالى: ﴿أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود:١١٦].

الخامس: السّحر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس].

قوله: كالحدث.

أي: مثل الحدث.

---

[1] () "تفسير ابن القيم" (٢٥٥).

[2] () "تفسير القرطبي".

إذًا: فالشرك يحبط العبادات والطاعات، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، فدلت الآية على أن العمل يحبط بوجود الشرك، وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

«**تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»: هكذا وقع في بعض الأصول «**وَشِرْكَهُ**»، وفي بعضها: «**وشريكه**»، وفي بعضها: «**وشركته**» ومعناه: أنه غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد: أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به. (١)

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وَقَالَ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر]، مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]، فَإِنَّ الْإِشْرَاكَ إذَا لَمْ يُغْفَرْ وَأَنَّهُ مُوجِبٌ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ حُبُوطُ حَسَنَاتِ صَاحِبِهِ. (٢)

الخلاصة: أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة، والعبادة لا تسمى عبادة إلا باجتناب الشرك.

١() "شرح صحيح مسلم" (٤ / ٢٢٨٩).

٢() "مجموع الفتاوى" (٧ / ٤٩٤).

فائدة: في حبوط الأعمال.

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [التوبة:١٧].

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فعلق سبحانه حبوط الأعمال والخسران باتباع الشهوات الذي هو الاستمتاع بالخلاق، وباتباع الشبهات الذي هو الخوض بالباطل. ([1])

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: والله أمر في كتابه بعمارة المساجد، ولم يذكر المشاهد، فالرافضة بدلوا دين الله، فعمروا المشاهد، وعطلوا المساجد؛ مضاهاة للمشركين، ومخالفة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٢٩]، لم يقل: عند كل مشهد، وقال: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة]، ولم يقل: إنما يعمر مشاهد الله، بل عمار المشاهد يخشون بها غير الله، ويرجون غير الله. ([2])

الخلاصة: حبوط الأعمال في الدنيا والآخرة بسبب الشبهات والشهوات.

---

[1] () رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (١٧).

[2] () "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية" (١ / ٢٥٥).

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ،..

قوله: فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل.

أي: إذا علمت بعد هذه المقدمة ما هو التوحيد، وما هو الشرك بقسميه، وأن صاحبه يخلد في النار؛ لما في مسلم عن جابر رضي الله عنه: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**».

قال شيخ الاسلام رحمه الله: فَإِنَّ الْإِشْرَاكَ إِذَا لَمْ يُغْفَرْ، وَأَنَّهُ مُوجِبٌ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ حُبُوطُ حَسَنَاتِ صَاحِبِهِ. ([1])

وقال ابن القيّم رحمه الله: إن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأبغض المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله، وأكرهها له، وأشد مقتًا لديه، ورتب عليها عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، فأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس. اهـ ([2])

إذًا: وجب علينا أن نسأل عن الشر، وأسباب الوقوع فيه؛ كي نحذر منه، لحديث حذيفة بن اليمان قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ،

---

[1] () "الإيمان الأوسط" (٤٣).

[2] () "إغاثة اللهفان" (١/ ٦٠).

وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي. (١)

****

قوله: وصار صاحبه من الخالدين في النار.

قد علمت أن ذلك هو الشرك الأكبر.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: وهذا التوحيد -الألوهية- هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. (٢)

وقوله: عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك.

يعني: إذا عرفت هذا الأمر العظيم، الذي هو أساس دين الإسلام، وهو

١() "صحيح البخاري" (٩ / ١٣٦)، مسلم(٢/ ١٤٢٥).

٢() "الحسنة والسيئة" لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١٢).

أساس دعوة الأنبياء، وهو الذي يرتب عليه الدخول في الجنة أو في النار، ومن ثم فهو من أسمى ما تُحرك إليه الهمم لتعلمه وهو توحيد الله. ([1])

قوله: لعل الله أن يخلصك.

ينجيك. ([2])

هذا بعد فضل الله بسبب دراستك وفهمك للتوحيد، وعليك أن تسعى في ذلك بجدية.

قوله: هذه الشبكة: وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه.

الشَّبَكَة: بتشديد الشين، وفتح الباء والكاف، وهي: الشباك التي يستعملها الصائد لصيد الأسماك، وتتفاوت على حسب قدرات الصيادين.

وكذلك أهل الشرك لهم شبكات، وهذا كذلك يدل على شفقة الإمام النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ بأهل الإسلام، ولطفه بهم.

يراجع كلام لابن القيم حول هذا في "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" (٢/ ٢٠٨)، فقد تكلم على شباك الصوفية، وكيف يصطادون عوام الناس ويوقعونهم في الشرك -سلمنا الله منهم-.

---

[1] () قاله الشتري في شرحه.

[2] () "مختار الصحاح".

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَبْدُ إِذَا شَهِدَ عَجْزَ نَفْسِهِ، وَنُفُوذَ الْأَقْدَارِ فِيهِ، وَكَمَالَ فَقْرِهِ إِلَى رَبِّهِ، وَعَدَمَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْ عِصْمَتِهِ وَحِفْظِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، كَانَ بِاللهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ لَا بِنَفْسِهِ، فَوُقُوعُ الذَّنْبِ مِنْهُ لَا يَتَأَتَّى فِي هَذِهِ الْحَالِ أَلْبَتَّةَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ حِصْنًا حَصِينًا مِنْ: فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وَبِي يَبْطِشُ، وَبِي يَمْشِي. فَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ الذَّنْبُ فِي هَذِهِ الْحَالِ، فَإِذَا حُجِبَ عَنْ هَذَا الْمَشْهَدِ، وَسَقَطَ إِلَى وُجُودِهِ الطَّبِيعِيِّ، وَبَقِيَ بِنَفْسِهِ، اسْتَوْلَى عَلَيْهِ حُكْمُ النَّفْسِ، وَالطَّبْعُ وَالْهَوَى، وَهَذَا الْوُجُودُ الطَّبِيعِيُّ قَدْ نُصِبَتْ فِيهِ الشِّبَاكُ وَالْأَشْرَاكُ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِ الصَّيَّادُونَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ فِي شَبَكَةٍ مِنْ تِلْكَ الشِّبَاكِ، وَشَرَكٍ مِنْ تِلْكَ الْأَشْرَاكِ، وَهَذَا الْوُجُودُ هُوَ حِجَابٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ الْحِجَابُ. وَيَقْوَى الْمُقْتَضَى، وَيَضْعُفُ الْمَانِعُ. وَتَشْتَدُّ الظُّلْمَةُ، وَتَضْعُفُ الْقُوَى، فَأَنَّى لَهُ بِالْخَلَاصِ مِنْ تِلْكَ الْأَشْرَاكِ وَالشِّبَاكِ؟. ([1])

قوله: وهي الشرك الأكبر بالله.

المراد بالشرك هنا: هو الأكبر.

قوله: الذي قال الله تعالى فيه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨]

مسألة: قوله تعالى: ﴿أَن يُشۡرَكَ ﴾ [النساء:٤٨]، هل هو في حق الشرك الأصغر، أو الأكبر؟ أو تعم هنا؟

[1] () "مدارج السالكين" (٢/ ٢٠٣-٢٠٤).

الجواب: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فَالشِّرْكُ إِنْ كَانَ شِرْكًا يَكْفُرُ بِهِ صَاحِبُه، وَهُوَ نَوْعَانِ:

شِرْكٌ فِي الْإِلَهِيَّةِ، وَشِرْكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

فَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْإِلَهِيَّةِ: فَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ للهِ نِدًّا -أَيْ: مِثْلًا- فِي عِبَادَتِهِ، أَوْ مَحَبَّتِهِ، أَوْ خَوْفِهِ، أَوْ رَجَائِهِ، أَوْ إِنَابَتِهِ، فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ. اهـ (١)

وله مبحث آخر في الشرك الأصغر كما في "الإستغاثة" (١/ ١٣١).

والشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ يقول بعدم غفران الله تعالى لصاحب الشرك الأصغر. (٢)

والذي يظهر والعلم عند الله: أن الشرك الأصغر تحت مشيئة الله، أشار إليه شيخ الإسلام، وابن رجب.

قوله: أربع قواعد.

إلى هنا انتهت المقدمة.

قال عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه القواعد التي وضعها شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ أحق بهذا الاسم من غيرها؛ لما ينبني عليها من أصول الدين، فإن معرفة توحيد

١() "مجموع الفتاوى" (١/ ١٩١).

٢() "القول المفيد" (١/ ٢٥٦).

الربوبية من توحيد الإلهية لا يسع أحدًا جهله...

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فمن أنكر هذه القواعد التي وضعها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -قدس الله روحه-، فقد كفر بما تضمنته من أدلة أصول الدين، التي تضمنتها آيات القرآن المحكمات، وصحيح الأحاديث؛ وذلك هو الدين القيم...

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وبهذا البيان، يعلم المنصف أنه لا ينكر تلك القواعد إلا من أقعده جهله، وعميت بصيرته، وضل فهمه، وتغيرت فطرته، وضاع عقله، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله معرفة الحق وقبوله، ومحبته والعمل به، والثبات عليه، والاستقامة في الدنيا والآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا. ([1])

قوله: ذكرا الله تعالى في كتابه.

فيه بيان من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا التقعيد مأخوذ من الأدلة بالاستقراء للكتاب والسنة، وفي هذا ربط الناس بأدلة الكتاب والسنة؛ خلافًا لأهل البدع فإنهم لا يربطون الناس بالكتاب.

وفي "الأصول الثلاثة" قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم -رحمك الله- أنه يجب

---

[1] () "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (١١/ ٣٦٦- ٣٦٨).

علينا تعلم أربع مسائل: الأولى: العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

أي: أن نأخذ الدين بالأدلة، لا بالآراء المجردة، ولا بالأقوال المخالفة.

القاعدة الأولى:

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلامِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس].

اعلم أن هذه القواعد مجمع عليها، وهي مأخوذة من أدلة الوحيين، فلا يستطيع أهل الشرك أن يشككوا فيها.

وبدأ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ببيان القاعدة الأولى.

وخلاصتها: أن من أقر بتوحيد الربوبية، وأفنى عمره فيه، وجعله هو الدين، وفرط في الأساس وهو توحيد الألوهية، فإن ذلك لا ينفعه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف]، أي: وما يؤمن أكثرهم بالربوبية إلا وهم مشركون بالألوهية.

وفيه: أن من أقر بتوحيد الربوبية فقط يكفر.

ومقتضى هذه القاعدة أيضا: أن توحيد الربوبية لا يدخل به أحد في الإسلام، فمن أقر بتوحيد الربوبية – أي: أقر بأن الله هو الخالق، وهو الرازق، وهو المدبر، وهو المحي والمميت، هو الذي يصح ويمرض، وهو الذي يغني

ويفقر، وهو الذي يسعد ويشقي-، من أقر بهذا فإنه لا يدخله إقراره هذا في الإسلام؛ لأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، واستباح دماءهم، وغنم أموالهم، وسبى نساءهم وأطفالهم، كلهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق، الرازق، المدبر لجميع الأمور، فلم ينفعهم ذلك شيئًا؛ لأنهم عبدوا غير الله، وكفروا برسالة محمد ﷺ، وانكروا البعث، وكفروا بالقرآن، وأنكروه، زعموا أنه سحر أو كهانة. ([1])

ويستفاد من كلام النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه القاعدة: أن أهل الشرك أقروا بتوحيد الربوبية، وظنوا أنه هو الإسلام، وأثبتوا أن الله هو الخالق، الرازق وغير ذلك؛ ولكن لم يفردوه بالألوهية، وما قام الحرب بين الأنبياء وأقوامهم إلا بسبب توحيد الألوهية، وبهذا يعلم أن من أتى بتوحيد الربوبية لا ينفعه ذلك إلا إذا أتى بتوحيد الألوهية، وأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، أي: حتى يفردوه بالعبادة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم إن طائفة ممن تكلم في تحقيق التوحيد على طريق أهل التصوف ظن أن توحيد الربوبية هو الغاية، والفناء فيه هو النهاية، وأنه إذا شهد ذلك سقط عنه استحسان الحسن، واستقباح القبيح، فآل بهم الأمر إلى تعطيل الأمر والنهي، والوعد والوعيد ...

---

[1] () قاله النجمي في "شرح القواعد".

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فالعبد مع شهوده الربوبية العامة الشاملة للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، عليه أن يشهد ألوهيته التي اختص بها عباده المؤمنين، الذين عبدوه، وأطاعوا أمره، واتبعوا رسله. (١)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا أَرَادَ تَحْقِيق تَوْحِيد الربوبية وتوحيد الإلهية: وَهُوَ أَن يعبد الله وَحده لا يشرك بِهِ شَيْئا، فَهَذَا التَّوْحِيد الَّذِي جَاءَت بِهِ الرُّسُل هُوَ يسْعد صَاحبه وَيدخل الْجنَّة لَا محَالة لَهُ من دَعْوَة مجابة وَمن فَاتَهُ هَذَا التَّوْحِيد فَإِن الله لَا يغْفر أَن يُشْرك بِهِ فَلَا يَنْفَعهُ الدُّعَاء.(٢)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد -توحيد الربوبية- ومع هذا يشركون بالله، ويجعلون له ندًا يحبونهم كحب الله ...، فكان ذلك التوحيد الذي هو الربوبية حجة عليهم. (٣)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ظنوا أن الكمال: هو الغنى في توحيد الربوبية، وهذا غلط عظيم، وظلال مبين وقع فيه كثير من السالكين. (٤)

وهذه القاعدة فيها الرد على من ظن أن كفار قريش إنما صاروا مشركين

١() "الاقتضاء"(٢/ ٣٨٨).

٢() "الاستقامة" (١/ ١٨٠).

٣() "الحسنة والسيئة" (١/ ١٢٧).

٤() "الرد على الشاذلي" (١/ ٦٩).

بإشراكهم في الربوبية لا بالألوهية، وكثيرا ما يُرَدِّد هذا أعداء دعوة التوحيد المنتسبين للإسلام، ويقولون: لو أنهم اقتصروا على الشرك في الألوهية -العبادة- لما كانوا كفارًا مشركين، لذا يقولون: إشراكنا في الألوهية مع عدم الإشراك في الربوبية لا يعد شركًا.

❐ مسألة: هل وقع الشرك من المتأخرين في الربوبية؟

الجواب: قال عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد وقع الشرك في الربوبية أيضًا في كثير من الخاصة والعامة في آخر هذه الأمة، فاعتقدوا أن لهؤلاء الأموات تصرفًا في الكون ونحو ذلك. (١)

وهكذا وذكر هذا أيضا جماعة من العلماء، كالشيخ صالح آل الشيخ، في شرحه للطحاوية.

فائدة:

إقرار كفار قريش بتوحيد الربوبية إقرار في الجملة؛ لذا وقعوا في شرك التمائم والتطير، وهي من الشرك في الربوبية، ثم إنه يستثنى من ذلك البعث والنشور، فإنهم كافرون به كما قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن].

قوله: الذين قاتلهم رسول الله ﷺ.

---

(١) "قرة عيون الموحدين" (٣٠١).

يشير إلى حديث ابن عمر رضي الله عنه . «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**». أخرجاه.

قال شيخ الاسلام رحمه الله: الآيات في إثبات إيمان المشركين بتوحيد الربوبية دون الألوهية، وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام. يراجع مجموع الرسائل والمسائل، فقد ذكر جملة من الأدلة التي تبين هذا. ([1])

قوله: الخالق.

ورد اسم الخالق في أحد عشر موضعًا في القرآن منها: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحشر:٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد:١٦]، وقال سبحانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنعام]، أي: يعدلون به غيره، فيجعلون له من خلقه عدلًا وشبهًا.

قال ابن عباس رضي الله عنه : يريد عدلوا بي من خلقي الحجارة والأصنام بعد أن أقروا بنعمتي وربوبيتي.

---

[1] () "مجموعة الرسائل والمسائل" (٥/ ١٥٨).

وقال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: فأعلمَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- أن هذه خَلْق له، وأن خالقها لا شيءَ مثْلُه، وأعلم مع ذلك أن الذين كفروا بِرَبهِم يَعدِلونَ: أي: يجعلون لله عَدِيلاً، والعدل: التسوية، يقال: عدل الشيء بالشيء إذا سواه به، ومعنى يعدلون به: يشركون به غيره. قاله مجاهد.

وقال الأحمر رَحِمَهُ اللَّهُ: يقال عدل الكافر بربه عدلًا، وعدولًا، إذا سوى به غيره فعبده.

وقال الكسائي رَحِمَهُ اللَّهُ: عدلت الشيء بالشيء أعدله عدولًا: إذا ساويته به.(١)

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: والخَلْقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: ابتِداع الشَّيْءِ عَلَى مِثال لَمْ يُسبق إِليه، وَكُلُّ شَيْءٍ خلَقه اللهُ فَهُوَ مُبْتَدِئه عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سُبق إِليه. (٢)

قوله: ﴿ قُلْ ﴾.

أي: يا محمد، أو يا أيها النبي، أو يا أتباع النبي، اسألوا هؤلاء القوم الذين يجعلون لي ندًا في العبادة.

قوله: ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾.

أي: من يوصل إليهم الأرزاق، ويخلق هذه الأرزاق ويدبرها حتى تصل

١() "إغاثة اللهفان" (٢/ ٢٢٩) وما بعد.

٢() "لسان العرب" (١٠/ ٨٥).

إليهم من السماء.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فلما انتظم هذا بذكر الاحتجاج عليهم لم يصلح فيه إلا إفراد السماء، لأنهم لا يقرون بما ينزل من فوق ذلك من الأرزاق العظيمة للقلوب والأرواح، ولا بد من الوحي الذي به الحياة الحقيقية الأبدية، وهو أولى باسم الرزق من المطر الذي به الحياة الفانية المنقضية، فما ينزل من فوق ذلك من الوحي، والرحمة، والألطاف، والموارد الربانية، والتنزلات الإلهية، وما به قوام العالم العلوي والسفلي، من أعظم أنواع الرزق، ولكن القوم لم يكونوا مقرين به، فخوطبوا بما هو أقرب الأشياء إليهم بحيث لا يمكنهم إنكاره. ([1])

قوله: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

أي: من غيث ومطر، ويطلع لكم شمسها، ويغطش ليلها، ويخرج ضحاها.

قوله: ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾.

أي: من يرزقكم منها أقواتكم، وغذائكم الذي ينبته لكم، وثمار أشجارها، أخبروني؟.

قوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾.

أي: اسألهم من هو الذي يملك السمع والأبصار، فيعطي السمع من يشاء،

---

[1] () "بدائع الفوائد" (١/ ١١٨).

ويمنعه من يشاء.

قوله: ﴿وَيُخۡرِجُ﴾.

أي: قل يا محمد لهم: من يخرج الشيء الميت من الحي، والحي من الميت.

قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾.

أي: السماء، والأرض، وما فيهن.

قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾.

معترفين مقرين بلا تردد ولا شك.

قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾.

أي: الذي رزقنا، ويملك سمعنا وبصرنا...الخ.

قوله: ﴿فَقُلۡ﴾.

أي: قل لهم بعد إصرارهم بربوبيتي.

قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]، أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟. ([١])

---

[١] () "تفسير ابن كثير" (٤/ ٢٦٧).

وقال شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فَلَوْلَا أَنَّ حُسْنَ التَّوْحِيدِ، وَعِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَقُبْحَ الشِّرْكِ ثَابِتٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، مَعْلُومٌ بِالْعَقْلِ، لَمْ يُخَاطِبْهُمْ بِهَذَا...، أَيْضًا: فَفِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ يُبَيِّنُ لَهُمْ قُبْحَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الشِّرْكِ وَغَيْرِهِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَيَضْرِبُ لَهُمْ الْأَمْثَالَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المؤمنون]، وَقَوْلِهِ: ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس] وَقَوْلِهِ : ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون] فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ اعْتِرَافَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ يُوجِبُ انْتِهَاءَهُمْ عَنْ عِبَادَتِهَا، وَأَنَّ عِبَادَتَهَا مِنْ الْقَبَائِحِ الْمَذْمُومَةِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَظُنُّونَ أَنَّ الشِّرْكَ: هُوَ اعْتِقَادُ أَنْ ثَمَّ خَالِقٌ آخَرُ، وَهَذَا بَاطِلٌ، بَلْ الشِّرْكُ: عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ، وَإِنْ اعْتَرَفَ الْمُشْرِكُ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ. ([1])

وأيضًا: أفلا تخافون عقاب الله على شرككم في الألوهية، وهكذا أفلا يدعوكم إقراركم بتوحيد الربوبية إلى الإقرار بتوحيد الألوهية، فعاب الله -جل وعلا- عليهم عدم إقرارهم بتوحيد الألوهية مع إقرارهم بتوحيد الربوبية.

وفي هذا دلالة على عدة أمور منها خمسة:

الأمر الأول: أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي عن الإقرار بتوحيد الألوهية.

الأمر الثاني: أن توحيد الربوبية يدل على وجوب إفراد الله بالعبودية.

الأمر الثالث: أنه لا يصح تفسير لا إله إلا الله بأن المراد بها الإقرار بتوحيد

---

[1] () "مجموع الفتاوى" (١١/ ٦٨٢).

الربوبية، فإن طوائف من الناس يقولون: معنى لا إله إلا الله، أي: لا خالق ولا رازق، ولا مدبر إلا الله، وهذا التفسير تفسير خاطئ، قال الله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات]، وما ذاك إلا لأنهم يعرفون أن معنى هذه الكلمة: هو إفراد الله بالعبادة، وعدم صرف شيء من العبادات لغير الله -جل وعلا-، ومن هنا لا يصح لأحد أن يفسر هذه الكلمة -لا إله إلا الله- بأن المراد بها توحيد الربوبية، بل المراد بها توحيد الألوهية.

الأمر الرابع: أن الإشراك في توحيد الربوبية قليل أو نادر، بخلاف الإشراك في توحيد الألوهية فكثير جدًا -إلا من سلمه الله-؛ ولذلك كانت بعثة الأنبياء؛ لتحذير الناس من الشرك في توحيد الألوهية.

والخلاصة: أن رسول الله ﷺ أرسل إلى قوم يقرون بالربوبية، ومع إقرارهم بهذا التوحيد لم يدخلهم الله في الإسلام، ولم يحرم دمائهم، ولا أموالهم، فهذا دليل على أن التوحيد الذي أرسله الله ليس هو الإقرار بالربوبية فقط، وإنما بالألوهية. ([1])

لذلك قال الشيخ الفوزان حفظه الله : **توحيد الربوبية**، وهو: إفراد الله تعالى

---

[1] () "مجموع الفتاوى" (٢/ ٤٠٠)، و"المجموع لابن باز" (٥/ ٥٣٥)، (١٣/ ٣٣٠)، "فتاوى اللجنة الدائمة" (٢/ ٢٧٠).

بالخلق، والرزق، والتدبير، والإحياء، والإماتة، وتدبير الخلائق، هذا توحيد الربوبية: أنه لا خالق، ولا رازق، ولا محيي، ولا ضار، ولا نافع إلا الله -سبحانه وتعالى-، هذا يُسمّى: توحيد الربوبية، وهو: توحيده بأفعاله -سبحانه وتعالى-، فلا أحد يخلق مع الله، ولا أحد يرزق مع الله، ولا أحد يحي ويميت مع الله -سبحانه وتعالى-.

وهذا النوع من أقرّ به وحده لا يكون مسلمًا؛ لأنه قد أقرّ به الكفار، كما ذكر الله -جل وعلا- في القرآن في آيات كثيرة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر:٣٨]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس]، ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٤]، إلى غير ذلك من الآيات التي أخبر الله أن المشركين يقرّون بأن الله هو الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، ومع هذا لا يكونون مسلمين لماذا؟ لأنهم لم يأتوا بالنوع الثاني، الذي هو مدار المطلوب -وهو الآتي-.

النوع الثاني: توحيد الألوهية، ومعناه: إفراد الله تعالى بالعبادة، هذا غير إفراده بالخلق، والرزق، والتدبير، بل إفراد الله بالعبادة: بأن لا يُعبَد إلا الله -سبحانه وتعالى-، لا يُصَلّى، ولا يُدعا، ولا يُذبَح، ولا يُنذَر، ولا يُحَج، ولا يُعتَمر،

ولا يُتصَدق، ولا... إلى آخره؛ إلا لله سبحانه وتعالى، يبتغي بذلك وجه الله -سبحانه وتعالى-، وهذا هو الذي وقعت الخصومة فيه بين الرسل والأمم.

أما الأول فما وقعت فيه خصومة -يعني: الربوبية-؛ لأن الأمم مقِرّة بأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر، ولم يُنكِر توحيد الربوبية إلاَّ شُذّاذ من الخلق، أنكروه في الظاهر ولكنهم مستيقنون به في الباطن.

من ذلك: فرعون، وإن كان جحد وجود الرّب -سبحانه وتعالى-، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، فهذا في الظاهر، وإلاَّ فهو يقر في قرارة نفسه أنه ليس برب، وأنه لا يخلق، ولا يرزق، وإنما في قرارة نفسه يعترف بأن الله هو الخالق، الرازق.

كذلك الشيوعية في عصرنا الحاضر جحودها للرّب، هذا في الظاهر، وإلا كل عاقل يعلم أن هذا الكون ما وُجِدَ من دون خالق، ومن دون مدبِّر، ومن دون موجد أبدًا، كل عاقل يعترف بتوحيد الربوبية.

أما توحيد الألوهية والعبادة، فهذا قَلّ من الخلق من أقرّ به، ما أقرّ به إلاَّ المؤمنون أتباع الرسل-عليهم الصلاة والسلام-، هم الذين أقرّوا به، أما عموم الكفار فإنهم ينكرون توحيد الألوهية، بمعنى أنهم لا يفردون الله بالعبادة، حتى وإن أقرّوا بالنوع الأول -وهو توحيد الربوبية- وإن عبدوا الله ببعض أنواع العبادة، ولهذا لما قال لهم النبي ﷺ: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ

ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ [ص]، فهم أبوا أن يقولوا: لا إله إلاَّ الله، مع أنهم يعترفون بتوحيد الربوبية، لكن أبوا أن يعترفوا بتوحيد الألوهية، الذي هو إفراد الله بالعبادة، هم يقولون: نحن نعبد الله، ونعبد معه غيره من الشفعاء والوسطاء الذين يقربونهم -بزعمهم- إلى الله زُلفى، اتخذوهم وسائط- بزعمهم- وأبوا أن يفردوا ا لله -جل وعلا- بالعبادة: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [نوح:٢٣]، هذا في قوم نوح، والوتيرة واحدة من أول الكفار إلى آخرهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح]. ([1])

قال الشنقيطي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [يونس:٣١]، إلى قوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس]، صرح الله تعالى في هذه الآية الكريمة، بأن الكفار يقرون بأنه جل وعلا، هو ربهم الرزاق، المدبر للأمور، المتصرف في ملكه بما يشاء، وهو صريح في اعترافهم بربوبيته، ومع هذا أشركوا به جل وعلا.

والآيات الدالة على أن المشركين مقرون بربوبيته جل وعلا ولم ينفعهم ذلك

---

[1] () "إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد" (١/ ٢٠-٢١).

لإشراكهم معه غيره في حقوقه جل وعلا كثيرة، كقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٣٨]، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف]، وقوله: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾، إلى قوله: ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]، إلى غير ذلك من الآيات، ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف].

والآيات المذكورة صريحة في أن الاعتراف بربوبيته جل وعلا لا يكفي في الدخول في دين الإسلام إلا بتحقيق معنى لا إله إلا الله نفيًا وإثباتًا، وقد أوضحناه في سورة الفاتحة في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة:٥].

أما تجاهل فرعون لعنه الله لربوبيته جل وعلا، في قوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشعراء]، فإنه تجاهل عارف؛ لأنه عبد مربوب، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء:١٠٢]، الآية، وقوله: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل:١٤]. ([1])

---

[1] () "أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن" (٢ / ٢٥٣).

القاعدة الثانية:

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر]، وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

قوله: أنهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة.

أراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه القاعدة بيان معنى الشفاعة الشركية التي كان عليها الأوائل، وبيان الضابط في ما يجوز وما لا يجوز في الشفاعة.

وأيضا: هذه القاعدة تنقض أساسًا من أسس الشرك، وتبين أن ما عند المشركين من الدعاوى باطلة، وأن حججهم متهافته؛ وذلك أن المشركين الذين يتوجهون إلى الأولياء والقبور بالعبادة إذا قيل لهم: العبادة حق خالص لله، فلماذا تتوجهون لهؤلاء بأنواع العبادات، تدعونهم، وتنذرون لهم، وتذبحون لهم، وتصلون لهم؟

قالوا: هؤلاء أولياء، لهم منزلة عند الله، فهم يقربونا إلى الله.

أو يقولون: نحن نحتاج إلى من يشفع لنا عند الله، فنحتاج إلى واسطة بيننا وبين ربنا؛ ليشفع لنا، وهؤلاء صالحون فيشفعوا لنا عند الله؛ فنتقرب بهم إليه في العبادة.

وقد نقض الله جل وعلا هذه الشبهات.

قوله: والشفاعة.

والشفاعة لغة: مصدر قولهم: شفع، يشفع، وهو مأخوذ من مادّة (ش ف ع)، الّتي تدلّ على مقارنة الشّيئين، من ذلك الشّفع خلاف الوتر، تقول: كان فردًا فشفعته، قال جلّ ثناؤه: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣﴾ [الفجر].

قال أهل التّفسير: الوتر الله تعالى، والشّفع: الخلق.

وشفع فلان لفلان: إذا جاء ملتمسًا مطلبه، ومعينًا له، والشّفعة في الدّار من هذا؛ لأنّه يشفع بها ماله.

وقال الرّاغب رَحِمَهُ اللَّهُ: الشّفع ضمّ الشّيء إلى مثله. (١)

واصطلاحًا: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة. (٢)

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: سمي الشفيع شفيعًا؛ لأنه يشفع للطالب، كما قال الله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً ﴾ [النساء:٨٥] الآية، فكان من أعان غيره على أمره فهو شافع له. (٣)

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن الشافع يشفع لصاحب الحاجة فيصيب له شفعًا في قضائها؛ لعجزه عن الاستقلال بها. (٤)

١() "لسان العرب" (٨/ ١٨٣)، و"الصحاح" (٣/ ١٢٣٨)، و"مقاييس اللغة" لابن فارس (٢٠١٣)، و"المفردات للراغب" (٢٦٣)، و"مختار الصحاح" (٣٤٠) مادة «ش ف ع»، و"المصباح المنير" (٣١٧).

٢() "القول المفيد" (١/ ٣٣٠).

٣() "الصفدية" (٢/ ٢٩١).

٤() "روضة المحبين" (٣٧٧).

الشفاعة ملك لله:

قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الزمر:٤٤]، فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض، وهو الله وحده، فهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه؛ ليرحم عبده؛ فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له. ([١])

فمعنى هذه الآية: أن الشفاعة لا يملكها أحد، وإنما هي بيد الله جلَّ وعلا، فالمؤمنون الأتقياء لا يملكون الشفاعة دون الله، لا لهم ولا لغيرهم، وليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع. ([٢])

فائدة: الفرق بين الشفاعة الشرعية، والشفاعة الشركية:

قال ابن القيّم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤]-: أخبر الله في كتابه أنّ الشفاعة لمن له ملك السّموات والأرض، وهو الله وحده، فهو الّذي يشفع بنفسه إلى نفسه؛ ليرحم عبده، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشّفاعة في الحقيقة إنّما هي له، والّذي يشفع عنده إنّما يشفع بإذنه له، وأمره له، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه،

---

[١] () "إغاثة اللهفان"(١/ ٢٢٠).

[٢] () "شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" للغنيمان (٥١٥).

وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده.

وهذا ضدّ الشّفاعة الشّركيّة الّتي أثبتها المشركون ومن وافقهم، وهي الّتي أبطلها الله سبحانه في كتابه بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ ﴾ [البقرة:١٢٣]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١ ﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ ﴾ [السجدة:٤]، فأخبر سبحانه أنّه ليس للعباد شفيع من دونه، بل إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ﴾ [يونس:٣]، وقال: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فالشّفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه، ولا الشافع شفيع من دونه، بل شفيع بإذنه، والفرق بين الشّفيعين كالفرق بين الشّريك والعبد المأمور.

فالشّفاعة الّتي أبطلها الله شفاعة الشّريك؛ فإنّه لا شريك له.

والّتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الّذي لا يشفع ولا يتقدّم بين يدي مالكه حتّى يأذن له، ويقول: اشفع في فلان، ولهذا كان أسعد النّاس بشفاعة سيّد الشّفعاء يوم القيامة أهل التّوحيد، الّذين جرّدوا التّوحيد، وخلّصوه من تعلّقات

الشّرك وشوائبه، وهم الّذين ارتضى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه]...، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرّسل، والملائكة المقرّبون، وهم عبيد محض، لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدّمون بين يديه، ولا يفعلون شيئًا إلّا بعد إذنه لهم وأمرهم، ولا سيّما يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا، فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيّدة بأمره وإذنه، فإذا أشرك بهم المشرك، واتّخذهم شفعاء من دونه ظنّا منه أنّه إذا فعل ذلك تقدّموا وشفعوا له عند الله، فهو من أجهل النّاس بحقّ الرّبّ سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه، فإنّ هذا محال ممتنع، شبيه قياس الرّبّ تعالى على الملوك والكبراء، حيث يتّخذ الرّجل من خواصّهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج.

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام، واتّخذ المشركون من دون الله الشّفيع والوليّ...، فالشّفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم، فإنّ قيام مصالحهم بهم، وهم أعوانهم وأنصارهم، الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في النّاس، فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم، وإن لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشّافع؛ لأنّهم يخافون أن يردّوا شفاعتهم فتنتقض طاعتهم لهم، ويذهبون إلى غيرهم فلا يجدون بدًّا من قبول شفاعتهم على الكره والرّضى، فأمّا الغنيّ الّذي غناه من لوازم ذاته، وكلّ ما سواه فقير إليه بذاته، وكلّ

من في السّماوات والأرض عبيد له، مقهورون بقهره، مصروفون بمشيئته، لو أهلكهم جميعًا لم ينقص من عزّه، وسلطانه، وملكه، وربوبيّته، وإلهيّته مثقال ذرّة، قال سبحانه في سيّدة آي القرآن -آية الكرسيّ-: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر].

فأخبر أنّ حال ملكه للسّموات والأرض يوجب أن تكون الشّفاعة كلّها له وحده، وأنّ أحدًا لا يشفع عنده إلّا بإذنه، فإنّه ليس بشريك، بل مملوك محض، بخلاف شفاعة أهل الدّنيا بعضهم عند بعض...

وسرّ الفرق بين الشّفاعتين:

أنّ شفاعة المخلوق للمخلوق، وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده، لا خلقًا، ولا أمرًا، ولا إذنًا، بل هو سبب محرّك له من خارج كسائر الأسباب الّتي تحرّك الأسباب، وهذا السّبب المحرّك قد يكون عند المتحرّك لأجله ما يوافقه، كمن يشفع عنده في أمر يحبّه ويرضاه، وقد يكون عنده ما يخالفه، كمن يشفع إليه في أمر يكرهه، ثمّ قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض، فيقبل شفاعة الشّافع، وقد يكون المعارض الّذي عنده أقوى من شفاعة الشّافع، فيردّها ولا يقبلها، وقد يتعارض عنده الأمران، فيبقى متردّدًا بين ذلك المعارض الّذي يوجب الرّدّ، وبين الشّفاعة الّتي تقتضي القبول، فيتوقّف إلى أن يترجّح عنده

أحد الأمرين بمرجّح.

فشفاعة الإنسان عند المخلوق مثله هي سعي في سبب منفصل عن المشفوع إليه يحركه به ولو على كره منه، فمنزلة الشفاعة عنده منزلة من يأمر غيره، أو يكرهه على الفعل، إما بقوة وسلطان، وإما برغبة، فلا بد أن يحصل للمشفوع إليه من الشافع إما رغبة ينتفع بها، وإما رهبة منه تندفع عنه بشفاعته، وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه، فإنه ما لم يخلق شفاعة الشّافع، ويأذن له فيها، ويحبها منه، ويرضى عن الشافع، لم يمكن أن توجد.

والشّافع لا يشفع عنده لحاجة الرب إليه، ولا لرهبته منه، ولا لرغبته فيما لديه، وإنّما يشفع عنده مجرّد امتثال لأمره وطاعة له، فهو مأمور بالشفاعة، مطيع بامتثال الأمر، فإن أحدًا من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها إلا بمشيئة الله تعالى وخلقه.

فالرب -سبحانه وتعالى- هو الذي يحرك الشّفيع حتى يشفع، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع إليه حتى يقبل.

والشّافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره، وهو في الحقيقة شريكه، ولو كان مملوكه وعبده، فالمشفوع عنده محتاج إليه فيما يناله منه من النفع بالنّصر، والمعاونة وغير ذلك، كما أن الشافع محتاج إليه فيما يناله منه من رزق، أو نصر، أو

غيره، فكل منهما محتاج إلى الآخر. (١)

أركان الشفاعة أربعة:

١) الشافع. ٢) المشفوع له.

٣) المشفوع عنده. ٤) الشفاعة.

والشفاعة على قسمين:

١) دنيوية. ٢) أخروية.

والشفاعة الدنيوية على قسمين:

١) حسنة. ٢) سيئة.

فالحسنة: هي الإعانة على الخير فيما أحبه الله ورسوله.

والسيئة: هي فيما يكرهه الله ورسوله ﷺ. (٢)

شروط الشفاعة المشروعة:

الشرط الأول: رضى الله عن المشفوع، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

الشرط الثاني: رضى الله عن الشافع، لقوله تعالى ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [النجم:٢٦].

---

(١) "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" (١/ ٢٢٠- ٢٢٣) بتصرف.

(٢) "روضة المحبين" (٣٧٨)، و"المجموع" (٧/ ٦٥).

الشرط الثالث: الأذن للشافع، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

الشرط الرابع: الإسلام، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]. (١)

موانع الشفاعة:

من موانع الشفاعة الشرك.

قال ابن القيّم رحمه الله رَحِمَهُ اللَّهُ: المشرك لا يرتضيه الله، ولا يرضى قوله، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه، فإنه سبحانه علقه بأمرين: رضاه عن المشفوع، وأذنه للشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة. (٢)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله رَحِمَهُ اللَّهُ: فالذي تنال به الشفاعة هي الشهادة بالحق، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، لا تنال بتولي غير الله، لا الملائكة، ولا الأنبياء، ولا الصالحين، فمن والى أحدًا من هؤلاء ودعاه، وحج إلى قبره أو موضعه، ونذر له، وحلف به، وقرب له القرابين؛ ليشفع له، لم يغنِ ذلك عنه من الله شيئًا، وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره؛ فإن الشفاعة إنما تكون لأهل توحيد الله، وإخلاص القلب والدين له، ومن تولى أحدًا من دون الله فهو

١() "القول المفيد" (١/ ٣٣٦)، و"الشفاعة" للوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٩-٢١).

٢() "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٢١).

مشرك.

فهذا القول والعبادة -الذي يقصد به المشركون الشفاعة -يحرم عليهم الشفاعة، فالذين عبدوا الملائكة، والأنبياء، والأولياء، والصالحين؛ ليشفعوا لهم، كانت عبادتهم إياهم وإشراكهم بربهم الذي به طلبوا شفاعتهم به حرموا شفاعتهم، وعوقبوا بنقيض قصدهم؛ لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا. ([1])

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وسر ذلك: أن الأمر كله لله وحده، فليس لأحد معه من الأمر شيء، وأعلى الخلق، وأفضلهم، وأكرمهم عنده هم الرسل، والملائكة المقربون، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئًا إلا بعد إذنه لهم وأمرهم ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا، فهم مملوكون مربوبون أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه، فإذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنًا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه فإن هذا محال ممتنع شبيه قياس الرب تعالى على الملوك والكبراء حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج، وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي.

والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق، والرب والمربوب، والسيد

---

[1] () "مجموع الفتاوى" (١٤ / ٤١٢).

والعبد، والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه إلى غيره.

أقسام الوسائط:

الوسائط على قسمين:

وسائط شرعية لتبليغ الرسالة: وهذه الوساطة يكون الابتداء فيها من الله، أي: أن الله هو الذي يجعل بينه وبين الناس واسطة.

وسائط شركيه: وهي واسطة الأولياء الذين يجعلهم الناس واسطة لهم فيما بينهم وبين الله، يسألونهم لهم الشفاعة، ويصرفون لهم شيء من العبادات، فهذه وسائط باطلة ويكون الابتداء فيها من الناس. ([1])

فائدة:

اتخاذ الوسائط إن كان معه صرف شيء من العبادات، وسؤال الموتى، فهذا شرك بالله.

واتخاذ الوسائط من دون صرف شيء من العبادات لغير الله يعتبر بدعة. ([2])

ومن شبه الصوفية في الشفاعة والوسائط: ما جاء ذكره في كشف الشبهات أنهم قالوا: إن عظمة الله تقتضي ألا نتقرب إليها إلا بواسطة، والتقرب إلى الله بغير

---

[1] () "الوساطة بين الحق والخلق" لابن تيمية.

[2] () "المنتقى" للفوزان (١/ ٨٩).

واسطة يعتبر نقصا لحقه سبحانه، فالملوك في الدنيا إن أراد أحد منهم شيئا جعل بينه وبينهم واسطة، والله أعظم وأجل من ملوك الدنيا.

والجواب على هذه الشبهة أن يقال: إن وجود الوسائط بين الملوك وبين رعيتها إنما هو لأمور منها:

١) عدم رغبتهم في مقابلة الرعية.

٢) خوفهم من مقابلة الرعية.

٣) جهلهم بأحوال الرعية.

وكل هذه الأمور منتفية في حق الله؛ لشدة قربه من خلقه، ورحمته، وقدرته، وعلمه، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦]، وفي الحديث لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر قال لهم رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا. إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**» (١).

ومن شبههم أيضًا: أنهم يقولون: نحن نتخذ هؤلاء الصالحين شفعاء يشفعون لنا عند الله، ونحن عصاة فنستشفع بهم إلى الله؟

والرد عليهم أن نقول: الشفاعة لها ثلاثة شروط:

شرطان في الشافع، وشرط في المشفوع له.

---

١ () "الجواب الكافي"(١/ ٩٦)، "مجموع الرسائل والمسائل النجدية" (١/ ٣٢٢).

فالشرطان اللذان في الشافع هما: رضى الله عنه، وإذن الله له بالشفاعة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

والشرط الذي في ا لمشفوع له وهو: رضى الله عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فنقول لهؤلاء القبوريين: هل رضي الله عن هؤلاء الذين اتخذتموهم شفعاء؟ وهل رضي الله عنكم؟ وهل أذن الله بالشفاعة هذه؟ ونقول لهم كذلك إن قالوا لنا: دعنا من هذا، ولننظر إلى المخلوق إذا شفع لمخلوق، فنقول: إن المخلوق إذا شفع لمخلوق آخر عند ملك أو غيره واستجاب لهم هذا الملك، وقبل الشفاعة فإنما حصل ذلك لأحد هذه الأمور التالية:

١) أن يكون الشفيع له نصيب في الملك.

٢) أن يكون شريكًا له في الملك.

٣) أن يكون معاونًا له.

٤) أن يكون الملك بحاجة إلى هذا الشفيع.

٥) أن يخاف الملك من هذا الشفيع.

٦) أن يكون الشفيع ذو إحسان مع الملك.

وكل هذه الأمور منتفية في حق الله -تبارك وتعالى- القائل: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ

زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء:٥٦]. ([1])

وأراد الشيخ بهذه القاعدة أن يبين بعض شبه أهل الشرك، ويسميها العلماء: شرك الوسائط، ومن خلالها بين الشفاعة الشرعية: وهي المثبتة، وبَيّن وحذر من الشفاعة الشركية: وهي المنفية، ولا يعرف ذلك إلا بتعريف الشفاعة، وذكر شروطها، وأركانها، وموانعها، كالشرك بالله، وأن ما احتجوا به في عبادتهم لها بقصد طلب القربة والشفاعة، باطل.

[1] () "المجموع" (١/ ١٢٨)، و"المدارج" (١/ ٣٧٢).

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ..

وهذه من القواعد الأربع المفرقة بين المسلم والمشرك لئلا يحصل اللبس.

هذه القاعدة فيها كذلك الرد على شبهة توجد عند بعض أهل الشرك - الذين يصرفون العبادة لغير الله- مفادها:

أننا إذا توجهنا بالعبادة للصالحين فإنه هذا لا يكون شركًا، بل هذا من احترام أولياء الله وتقديرهم، ويعدون كل تعظيم لهؤلاء الأولياء نوعًا من الأمور المحمودة، ولوكان ذلك التعظيم على جهة الشرك وصرف العبادة لغير الله، فبين الله -جل وعلا- أن الأنبياء، والملائكة، ومن لهم مكانة ومنزلة عند الله -جل وعلا-، فإن علو درجتهم لا تعني صرف شيء من العبادة لهم، فالعبادة حق خالص لله، ونبينا ﷺ لم يفرق بين من صرف العبادة للصالحين والأنبياء والأولياء، وبين من صرف العبادة للأحجار والأشجار والأصنام، وجعل الجميع مشركين، وقاتلهم على حد سواء، ودليل المصنف يوضح هذا، وهو قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٣].

ولهم شبه منها: أنهم يحصرون الشرك في عبادة الشمس، والأصنام، والقمر،

والملائكة، والأشجار، والأحجار، ويقولون: نحن فنتقرب إلى الأنبياء، والصالحين، والأولياء، وهذا ليس بشرك.

والجواب عن هذه الشبهة ما قال النجدي في كتابه كشف الشبهات: فقلْ لهُ: ما معنى عبادة الأصنامِ؟

أتظنُّ أنهم يعتقدونَ أن تلكَ الأحجارَ والأخشابَ تخلقُ وترزقُ وتدبرُ أمرَ من دعاها؟ فهذا يُكذبُهُ القرآنُ.

وإن قالَ: هو من قصدَ خشبةً أو حجراً أو بُنْيَةً على قبرٍ أو غيرِه يدعونَ ذلك ويذبحونَ له، ويقولونَ: إنهُ يُقربُنا إلى الله زلفى، ويدفعُ الله عنا ببركتِهِ، أو يعطينا ببركتِه.

فقلْ: صدقتَ، وهذا هو فعلُكم عند الأحجارِ والبِنَا التي على القبورِ وغيرِها.

فهذا أقرَ أن فعلَهم هذا هو عبادةُ الأصنامِ، وهو المطلوبُ.

وتوضيح ذلك أن هذا هو تعريف الشرك عند هذا المشرك، وتعريفه له لا يخرج التعريف الصحيح للشرك؛ فالقاعدة أن **"تغير الأسماء لا يغير من الحقائق"**؛ فالحكم يدور مع الحقيقة وجوداً وعدماً، وليس مع الأسماء والألفاظ.

فلذا قال الشيخ ابن سحمان -رَحِمَهُ اللَّهُ- في الضياء الشارق (٤٠٨)-: ... من المعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها، فلا تزول هذه

المفاسد بتغير أسمائها، كتسمية عبادة غير الله توسلاً وتشفعاً، أو تبركاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً، فإن الاعتبار بحقائق الأمور لا بالأسماء والاصطلاحات، والحكم يدور مع الحقيقة وجوداً وعدماً لا مع الأسماء. اهـ

قوله: ظهر على أناس متفرقين.

أي: بعثه الله إلى أناس متفرقين.

قوله: في عباداتهم.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَصْلٌ: الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ:

وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَهُوَ أَسْهَلُ مِنْ هَذَا الشِّرْكِ، وَأَخَفُّ أَمْرًا، .... (١)

ومن قبح الشرك أن أصحابه لا يجتمعون على شيء واحد، بخلاف الموحدين فإن معبودهم واحد، قال تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ ﴾ [يوسف].

ويجمعهم صنف واحد وهو الشرك، وهذا ما بينه شيخ الإسلام بقوله: فأهل الإشراك متفرقون، وأهل الإخلاص متفقون، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، فأهل الرحمة متفقون مجتمعون، والمشركون فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، ولهذا تجد ما أحدث من

---

(١) "الداء والدواء" (ص: ١٣١).

الشرك والبدع يفترق أهله؛ فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت يتخذونه ندًا من دون الله، فيقربون له، ويستشفعون به، ويشركون به، وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء، وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء، بل قد يكون لأهل هذا الطاغوت شريعة ليست للآخرين، كما كان أهل المدينة الذين يهلون لمناة الثالثة الأخرى، ويتحرجون من الطواف بين الصفا والمروة، حتى أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:١٥٨]، الآية.

وهكذا تجد من يتخذ شيئًا من نحو الشرك كالذين يتخذون القبور، وآثار الأنبياء والصالحين مساجد، تجد كل قوم يقصدون بالدعاء، والاستعانة، والتوجه من لا تعظمه الطائفة الأخرى، بخلاف أهل التوحيد فإنهم يعبدون الله لا يشركون به في بيوته التي قد أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، مع أنه قد جعلت لهم الأرض مسجدًا وطهورًا...، والله هو معبودهم وحده إياه يعبدون وعليه يتوكلون، وله يخشون ويرجون، وبه يستعينون ويستغيثون، وله يدعون ويسألون ([1]).

❊❊❊❊

[1] () "قاعدة جليلة" (٣٤)، و"اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٣٨١)، و"المجموع" (١/ ٥٩٨).

مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ.

وقوله: يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الأنبياء.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ اللهَّ إِنَّمَا أَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ؛ لِنَعْبُدَ اللهَّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نَجْعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى، مِثْلَ: الشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالْكَوَاكِبِ، وَالْعُزَيْرِ، وَالْمَسِيحِ، وَالْمَلَائِكَةِ، واللات، وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى، وَيَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا تَخْلُقُ الْخَلَائِقَ، أَوْ أَنَّهَا تُنْزِلُ الْمَطَرَ، أَوْ أَنَّهَا تُنْبِتُ النَّبَاتَ.

وَإِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَنْبِيَاءَ، وَالْمَلَائِكَةَ، وَالْكَوَاكِبَ، وَالْجِنَّ، وَالتَّمَاثِيلَ الْمُصَوَّرَةَ لِهَؤُلَاءِ، أَوْ يَعْبُدُونَ قُبُورَهُمْ، وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا نَعْبُدُهُمْ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى، وَيَقُولُونَ: هُمْ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ، فَأَرْسَلَ اللهُ رُسُلَهُ تَنْهَى أَنْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ، لَا دُعَاءَ عِبَادَةٍ؛ وَلَا دُعَاءَ اسْتِغَاثَةٍ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ٥٧ ﴾ [الإسراء].

قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ: كَانَ أَقْوَامٌ يَدْعُونَ الْمَسِيحَ، وَعُزَيْرًا، وَالْمَلَائِكَةَ؛ فَقَالَ

اللهُ لَهُمْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيَّ كَمَا تَتَقَرَّبُونَ، وَيَرْجُونَ رَحْمَتِي كَمَا تَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَيَخَافُونَ عَذَابِي كَمَا تَخَافُونَ عَذَابِي، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ]، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَا يُدْعَى مِنْ دُونِ اللهِ لَيْسَ لَهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْمُلْكِ، وَلَا شِرْكَ فِي الْمُلْكِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مِنْ الْخَلْقِ عَوْنٌ يَسْتَعِينُ بِهِ، وَأَنَّهُ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:١٨] الآية.

وَعِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ هِيَ أَصْلُ الدِّينِ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل:٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء]، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَقِّقُ التَّوْحِيدَ، وَيُعَلِّمُهُ أُمَّتَهُ، حَتَّى قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْت، فَقَالَ: «**أَجَعَلْتِنِي للهِ نِدًّا ؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»، وَقَالَ: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ؛ وَلَكِنْ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ**». (١)

وقوله: والصالحين.

قال شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وَإِنَّمَا كَانَ النِّزَاعُ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ وَاتِّخَاذِهِ رَبًّا، فَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّمَاوِيَّةَ وَيَتَّخِذُونَ لَهَا أَصْنَامًا أَرْضِيَّةً، وَهَذَا النَّوْعُ الثَّانِي مِنْ الشِّرْكِ، فَإِنَّ الشِّرْكَ فِي قَوْمِ نُوحٍ كَانَ أَصْلُهُ مِنْ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ -أَهْلِ الْقُبُورِ-، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، فَكَانَ شِرْكُهُمْ بِأَهْلِ الْأَرْضِ، إذْ كَانَ الشَّيْطَانُ إنَّمَا يُضِلُّ النَّاسَ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ، فَكَانَ تَرْتِيبُهُ أَوَّلًا الشِّرْكُ بِالصَّالِحِينَ أَيْسَرُ عَلَيْهِ. (٢)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْمُشْرِكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ يَقُولُونَ: إنَّا نَسْتَشْفِعُ بِهِمْ، أَيْ: نَطْلُبُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا، فَإِذَا أَتَيْنَا قَبْرَ أَحَدِهِمْ طَلَبْنَا مِنْهُ أَنْ يَشْفَعَ لَنَا، فَإِذَا صَوَّرْنَا تِمْثَالَهُ - وَالتَّمَاثِيلُ إمَّا مُجَسَّدَةٌ، وَإِمَّا تَمَاثِيلُ مُصَوَّرَةٌ، كَمَا يُصَوِّرُهَا النَّصَارَى فِي

---

١ () "مجموع الفتاوى" (١ / ٢٨٩).

٢ () "مجموع الفتاوى" (٦ / ٢٥٥).

كَنَائِسِهِمْ - قَالُوا: فَمَقْصُودُنَا بِهَذِهِ التَّمَاثِيلِ تَذَكُّرُ أَصْحَابِهَا وَسِيَرِهِمْ، وَنَحْنُ نُخَاطِبُ هَذِهِ التَّمَاثِيلَ وَمَقْصُودُنَا خِطَابُ أَصْحَابِهَا؛ لِيَشْفَعُوا لَنَا إِلَى اللهِ.

فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: يَا سَيِّدِي فُلَانٌ، أَوْ يَا سَيِّدِي جرجس، أَوْ بِطَرْسِ، أَوْ يَا سِتِّي الْحَنُونَةُ مَرْيَمُ، أَوْ يَا سَيِّدِي الْخَلِيلُ، أَوْ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ اشْفَعْ لِي إِلَى رَبِّك.

وَقَدْ يُخَاطِبُونَ الْمَيِّتَ عِنْدَ قَبْرِهِ: سَلْ لِي رَبَّك. أَوْ يُخَاطِبُونَ الْحَيَّ وَهُوَ غَائِبٌ كَمَا يُخَاطِبُونَهُ لَوْ كَانَ حَاضِرًا حَيًّا، وَيُنْشِدُونَ قَصَائِدَ يَقُولُ أَحَدُهُمْ فِيهَا: يَا سَيِّدِي فُلَانٌ أَنَا فِي حَسَبِك أَنَا فِي جِوَارِك اشْفَعْ لِي إِلَى اللهِ سَلْ اللهَ لَنَا أَنْ يَنْصُرَنَا. (١)

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَذَلِكَ -واللهُ أَعْلَمُ- شِرْكُ قَوْمِ نُوحٍ، وَإِنْ كَانَ مَبْدَؤُهُ مِنْ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ فَالشَّيْطَانُ يَجُرُّ النَّاسَ مِنْ هَذَا إِلَى غَيْرِهِ، لَكِنَّ هَذَا أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ وَبَرَكَتَهُ، وَدُعَاءَهُ، فَيَعْكُفُونَ عَلَى قَبْرِهِ، وَيَقْصِدُونَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَتَارَةً يَسْأَلُونَهُ، وَتَارَةً يَسْأَلُونَ اللهَ بِهِ، وَتَارَةً يُصَلُّونَ وَيَدْعُونَ عِنْدَ قَبْرِهِ ظَانِّينَ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِهِ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْبُيُوتِ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا مَبْدَأَ الشِّرْكِ، سَدَّ النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الْبَابَ كَمَا سَدَّ بَابَ الشِّرْكِ بِالْكَوَاكِبِ، فَفِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ: «**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي**

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١/ ١٥٨).

أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»، وفي "الصَّحِيحَيْنِ" عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ ذُكِرَ لَهُ كَنِيسَةٌ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَذُكِرَ مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرُ فِيهَا فَقَالَ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ﷺ -فِي مَرَضِ مَوْتِهِ-: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، وَلَكِنْ كَرِهَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا، وَفِي "مُسْنَدِ أَحْمَد"، و"صَحِيحِ أَبِي حَاتِمٍ" عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»، وَفِي "سُنَنِ أَبِي دَاوُد" وَغَيْرِهِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**». وَفِي "مُوَطَّأ مَالِكٍ" عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، وَفِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" عَنْ أَبِي الهياج الأسدي قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: أَلَا أَبْعَثُك عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمَرَنِي: أَنْ لَا أَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْته، وَلَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْته. فَأَمَرَهُ بِمَحْوِ التِّمْثَالَيْنِ: الصُّورَةِ الْمُمَثَّلَةِ عَلَى صُورَةِ الْمَيِّتِ، وَالتِّمْثَالِ الشَّاخِصِ الْمُشْرِفِ فَوْقَ قَبْرِهِ، فَإِنَّ الشِّرْكَ يَحْصُلُ بِهَذَا وَبِهَذَا.([1])

فائدة جميلة:

---

[1] () "مجموع الفتاوى" (١٧ / ٤٦١-٤٦٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُوجَدُ لِأَهْلِ الْبِدَعِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ الْمُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ وَالنَّصَارَى وَالضُّلَّالِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَحْوَالٌ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ يَظُنُّونَهَا كَرَامَاتٍ وَهِيَ مِنْ الشَّيَاطِينِ: مِثْلُ أَنْ يَضَعُوا سَرَاوِيلَ عِنْدَ الْقَبْرِ فَيَجِدُونَهُ قَدْ انْعَقَدَ، أَوْ يُوضَعُ عِنْدَهُ مَصْرُوعٌ فَيَرَوْنَ شَيْطَانَهُ قَدْ فَارَقَهُ؛ يَفْعَلُ الشَّيْطَانُ هَذَا لِيُضِلَّهُمْ، وَإِذْ قَرَأْت آيَةَ الْكُرْسِيِّ هُنَاكَ بِصِدْقِ بَطَلَ هَذَا؛ فَإِنَّ التَّوْحِيدَ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، وَلِهَذَا حَمَلَ بَعْضَهُمْ فِي الْهَوَاءِ فَقَالَ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ فَسَقَطَ، وَمِثْلُ أَنْ يَرَى أَحَدُهُمْ أَنَّ الْقَبْرَ قَدْ انْشَقَّ وَخَرَجَ مِنْهُ إنْسَانٌ فَيَظُنُّهُ الْمَيِّتُ وَهُوَ شَيْطَانٌ، وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ لَا يَتَّسِعُ لَهُ هَذَا الْمَوْضِعُ. (١)

قوله: منهم من يعبد الشمس والقمر.

وقال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ بعد كلام-: وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا حَاصِلٌ فِي جَمِيعِ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّهُمْ مُتَفَنِّنُونَ فِي الْآلِهَةِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَإِنْ اشْتَرَكُوا فِي الشِّرْكِ، هَذَا يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَهَذَا يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَهَذَا يَعْبُدُ اللَّاتَ، وَهَذَا يَعْبُدُ الْعُزَّى وَهَذَا يَعْبُدُ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، فَكُلٌّ مِنْهُمْ يَتَّخِذُ إلَهَهُ هَوَاهُ، وَيَعْبُدُ مَا يَسْتَحْسِنُ، وَكَذَلِكَ فِي عِبَادَةِ قُبُورِ الْبَشَرِ كُلٌّ يُعَلِّقُ عَلَى تِمْثَالِ مَنْ أَحْسَنَ بِهِ الظَّنَّ. (٢)

وصفة ذلك ما حرره ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: وأصل هذا المذهب من

١() "مجموع الفتاوى" (١١/ ٢٩٣).

٢() "مجموع الفتاوى" (٢/ ٢١٣).

مشركي الصابئة، وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك، وكسر حجتهم بعلمه، وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريقه، وهو مذهب قديم في العالم، وأهله طوائف شتى.

فمنهم عباد الشمس: زعموا أنها ملك من الملائكة، لها نفس وعقل، وهي أصل نور القمر والكواكب، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك؛ فيستحق التعظيم والسجود والدعاء، ومن شريعتهم في عبادتها: أنهم اتخذوا لها صنمًا بيده جوهرة على لون النار، وله بيت خاص قد بنوه باسمه، وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع، وله سدنة وقوام وحجبة يأتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات في اليوم، ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم، ويصلون، ويدعون، ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها، وإذا غربت، وإذا توسطت الفلك، ولهذا يقارنها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له، ولهذا نهى النبي عن تحري الصلاة في هذه الأوقات قطعًا لمشابهة الكفار ظاهرًا، وسدًا لذريعة الشرك وعبادة الأصنام. ([1])

وله كلام آخر في "الجواب الكافي" (صـ:٧٧)، ومنه: فَالشَّيْطَانُ يَدْعُو الْمُشْرِكَ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَيُوهِمُهُمْ أَنَّهُ مَلَكٌ، وَكَذَلِكَ عُبَّادُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ، وَهِيَ الَّتِي تُخَاطِبُهُمْ، وَتَقْضِي لَهُمُ الْحَوَائِجَ، وَلِهَذَا إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَارَنَهَا الشَّيْطَانُ،

---

[1] () "إغاثة اللهفان" (٢ / ٢٢٣).

فَيَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، فَيَقَعُ سُجُودُهُمْ لَهُ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِهَا انتهى .

وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ..

قوله: قاتلهم.

جميعًا.

قوله: ولم يفرق بينهم.

فلم يفرق بينهم؛ لأن الكل اجتمعوا على الشرك بالله، وإن اختلفوا في عبادتهم، وبهذا يظهر بطلان دعوى القبوريين من تجويزهم دعاء الصالحين بحجة: أن النبي ﷺ قاتل من يعبد الأصنام فقط، وهذه دعوى باطلة، ردها المصنف بأدلة قاطعة.

وقد أفاد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن أصل هذه المذاهب من عباد الشمس والقمر من مشركي الصابئة، قوم إبراهيم عليه السلام.

قال ابن القيّم: وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة، وهم: قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك، وكسر حجتهم بعلمه، وآلهتهم بيده. ([1])

****

[1] () "إغاثة اللهفان" (٢/ ٢٢٣).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

قوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾.

هذا عام لكل مشرك في كل زمان ومكان، ولكل من عبد غير الله.

قوله: ﴿حَتَّىٰ﴾.

أي: حتى لا توجد ولا تحصل فتنة، وهي الشرك، وهي عامة تشمل كل من عبد الأشجار والأحجار، والأولياء والصالحين. ([1])

قال شيخ الاسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالشِّرْكُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ إنَّمَا هُوَ عِبَادَةُ غَيْرِهِ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ، كَعِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ الْكَوَاكِبِ، أَوْ الشَّمْسِ، أَوْ الْقَمَرِ، أَوْ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ تَمَاثِيلِهِمْ، أَوْ قُبُورِهِمْ، أَوْ غَيْرِهِمْ مِنْ الْآدَمِيِّينَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. ([2])

قوله: ﴿فِتْنَةٌ﴾.

جاء عن ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وجماعة أن الفتنة: هي الشرك.

---

[1] () "تفسير ابن كثير".

[2] () "الفتاوى الكبرى لابن تيمية" (٦/ ٥٦٤).

قال ابن جرير -رَحِمَهُ اللَّهُ- في "تفسيره"-: يقول تعالى لنبيه محمد: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم؛ حتى لا يكون شرك بالله؛ وحتى لا يعبد دونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحدة دون غيره من الأصنام والأوثان.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: لَا يَبْقَى شِرْكٌ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ الصَّحِيحُ، دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

أَمَّا الْكِتَابُ: فَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَهُ فِي الْبَقَرَةِ: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣]، وَفِي الْأَنْفَالِ: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، فَإِنَّهُ يُوَضِّحُ أَنَّ مَعْنَى: ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أَيْ: لَا يَبْقَى شِرْكٌ؛ لِأَنَّ الدِّينَ لَا يَكُونُ كُلُّهُ للهِ مَا دَامَ فِي الْأَرْضِ شِرْكٌ كَمَا تَرَى.

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**...» الْحَدِيثَ، فَقَدْ جَعَلَ ﷺ الْغَايَةَ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا قِتَالُهُ لِلنَّاسِ هِيَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ وَاضِحٌ فِي أَنَّ مَعْنَى: ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: لَا يَبْقَى شِرْكٌ، فَالآية، وَالْحَدِيثُ كِلَاهُمَا دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْغَايَةَ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا قِتَالُ الْكُفَّارِ هِيَ أَلَّا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرْكٌ، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى فِي الآية عَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، وَقَدْ عَبَّرَ ﷺ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: «**حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ**

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت].

إِلَّا اللهُ»، فَالْغَايَةُ فِي الآية وَالْحَدِيثِ وَاحِدَةٌ فِي الْمَعْنَى كَمَا تَرَى. اهـ (١)

وأيضا لو استدل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦].

****

قوله: ودليل الشمس والقمر.

أي: الدليل على أنهم كانوا يعبدونها من دون الله، وأن الله نهانا أن نسجد لها، وأمرنا بالسجود له وحده.

قال السعدي -رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره"-: وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت]، يعني: وإن كان الشمس والقمر من المخلوقات العظيمة فإن هذا لا يقتضي أن يسجد لهما؛ لأنهما مخلوقان مدبران مسخران: ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾، أي: اعبدوه وحده؛ لأنه

---

(١) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" (٦ / ١١٨).

الخالق العظيم، ودعوا عبادة ما سواه من المخلوقات وإن كبر جرمه وكثرت مصالحه، فإن ذلك ليس منها وإنما هو من خالقه تبارك وتعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾، فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له انتهى .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع المسلمون على أن السجود لغير الله محرم. ([1])

قال ابن جرير -رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره"-: لَا تَسْجُدُوا أَيُّهَا النَّاسُ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ، فَإِنَّهُمَا وَإِنْ جَرَيَا فِي الْفُلْكِ بِمَنَافِعِكُمْ فَإِنَّمَا يَجْرِيَانِ بِهِ لَكُمْ بِإِجْرَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُمَا لَكُمْ، طَائِعِينَ لَهُ فِي جَرْيِهِمَا وَمَسِيرِهِمَا، لَا بِأَنَّهُمَا يَقْدِرَانِ بِأَنْفُسِهِمَا عَلَى سَيْرٍ وَجَرْيٍ دُونَ إِجْرَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُمَا وَتَسْيِيرِهِمَا، أَوْ يَسْتَطِيعَانِ لَكُمْ نَفْعًا أَوْ ضَرًّا، وَإِنَّمَا اللَّهُ مُسَخِّرُهُمَا لَكُمْ لِمَنَافِعِكُمْ وَمَصَالِحِكُمْ، فَلَهُ فَاسْجُدُوا، وَإِيَّاهُ فَاعْبُدُوا دُونَهَا، فَإِنَّهُ إِنْ شَاءَ طَمَسَ ضَوْءَهُمَا فَتَرَكَكُمْ حَيَارَى فِي ظُلْمَةٍ لَا تَهْتَدُونَ سَبِيلًا، وَلَا تُبْصِرُونَ شَيْئًا.

فقد دلت هذه الآية على أن السجود من أعظم شعائر الدين، وهو مختصة بالخالق -جل وعلا-، فلا يجوز صرفها لمخلوق، وقد تساوى في هذه الصفة القمر والشمس، والنبي والولي، ومن قال إنه قد جاز السجود في الأديان القديمة لبعض المخلوقات، ونقل ذلك بالخبر الصحيح، فصح سجود الملائكة لآدم، وسجود يعقوب ليوسف، فلا بأس أن نسجد لشيخ أو ولي، فإن هذا استدلال

---

[1] () "الفرقان" لشيخ الإسلام (١/ ١٩٨)، و"تلبيس إبليس" (٥٥٨)، و"المجموع" (٤/ ٣٥٣).

باطل، فقد جازت أشياء في الأديان السابقة، وحرمت في ديننا، وقد أبيح النكاح بالأخوات الشقيقات في عهد آدم، فهل يبيح هؤلاء المحتجون بهذه الدلائل أن يتزوج الإخوة أخواتهم؟

والأصل أن العبد مكلف بامتثال أمر ربه، فعليه أن يمتثل أمره عن رضا وطواعية نفس، لا يجد في نفسه حرجا مما أمر به، ولا يحاجج، ولا يتشبث بأمور الأولين وأخبارهم؛ لأن هذا يؤدي إلى الكفر.

قوله: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ﴾

لا ناهية.

❊❊❊

وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ... ﴾ الآية [آل عمران: ٨٠].

وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ، قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

قوله: ودليل الملائكة.

أي: والدليل على أن هناك من عبد الملائكة من دون الله.

وقد تكلم العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ بكلام طيب واسع على الملائكة يراجع من شرحه للأصول الثلاثة.

قوله: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم ....﴾

﴿أَن تَتَّخِذُوا﴾: معناه: بأن تتخذوا.

﴿أَرْبَابًا﴾: جمع رب، أي: ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله.

﴿أَيَأْمُرُكُم﴾: هذا استفهام على طريقة الإنكار والتعجب، واتخاذهم لهذا شرك أكبر؛ لأن الله وصفه بالكفر؛ لأن فيه الدعاء إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله فقد كفر.

واختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ [آل عمران:٨٠]، **فقيل**: يعني

محمدًا، **وقيل**: الله، **وقيل**: محمد، وعيسى، وعزير، ولا مانع من حمل الآية على الجميع، أي: ولا يأمركم الله ورسوله ابن الجوزي يقول وما كان لبشر أن يأمركم.

والمراد من كلام المصنف: أن هناك من عبد الملائكة ممن بُعث فيهم النبي ﷺ.

وهنا كلام لشيخ الإسلام حول هذا، عند قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [يس]، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكُلُّ مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ فَإِنَّمَا يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ، وَإِنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ]، وَهَذَا تَتَمَثَّلُ الشَّيَاطِينُ لِمَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَيُخَاطِبُونَهُمْ، فَيَظُنُّونَ أَنَّ الَّذِي خَاطَبَهُمْ مَلَكٌ أَوْ نَبِيٌّ أَوْ وَلِيٌّ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ جَعَلَ نَفْسَهُ مَلَكًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا يُصِيبُ عُبَّادُ الْكَوَاكِبِ وَأَصْحَابُ الْعَزَائِمِ وَالطَّلْسَمَاتِ، يُسَمُّونَ أَسَمَاءً يَقُولُونَ: هِيَ أَسَمَاءُ الْمَلَائِكَةِ، مِثْلَ: منططرون وَغَيْرِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَسَمَاءُ الْجِنِّ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَوْلِيَاءِ، وَالْمَلَائِكَةِ، قَدْ يَتَمَثَّلُ لِأَحَدِهِمْ مَنْ يُخَاطِبُهُ فَيَظُنُّهُ النَّبِيَّ، أَوْ الصَّالِحَ الَّذِي دَعَاهُ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ تَصَوَّرَ فِي صُورَتِهِ. ([1])

---

[1] () "مجموع الفتاوى" (١٤/ ٢٨٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَيْضًا فَقَوْلُهُ: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون]، خِطَابٌ لِلْكُفَّارِ مُطْلَقًا، فَهُوَ لَا يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ مَا عَبَدَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ فَعَبَّرَ عَنْ ذَوَاتِهِمْ بِـ(مَنْ)، فَتَخْصِيصُ الْبَرَاءَةِ مِنْ الشِّرْكِ بِشِرْكِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ غَلَطٌ عَظِيمٌ، وَإِنَّمَا هِيَ بَرَاءَةٌ مِنْ كُلِّ شِرْكٍ. (١)

وقوله: دليل الملائكة، قَولُه تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾.

تنبيه:

هذه الآية التي ذكرها المصنف كما في "الدرر السنية" (٢/ ٢٥).

قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللَّهُ- في كلام جميل حول هذا-: وَالْمَلَائِكَةُ لَا تُعِينُهُمْ عَلَى الشِّرْكِ لَا فِي الْمَحْيَا وَلَا فِي الْمَمَاتِ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ قَدْ تُعِينُهُمْ وَتَتَصَوَّرُ لَهُمْ فِي صُوَرِ الْآدَمِيِّينَ، فَيَرَوْنَهُمْ بِأَعْيُنِهِمْ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَنَا إبْرَاهِيمُ، أَنَا الْمَسِيحُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، أَنَا الْخَضِرُ، أَنَا أَبُو بَكْرٍ، أَنَا عُمَرُ، أَنَا عُثْمَانُ، أَنَا عَلِيٌّ، أَنَا الشَّيْخُ فُلَانٌ، وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ: هَذَا هُوَ النَّبِيُّ فُلَانٌ، أَوْ هَذَا هُوَ الْخَضِرُ، وَيَكُونُ أُولَئِكَ كُلُّهُمْ جِنًّا يَشْهَدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَالْجِنُّ كَالْإِنْسِ: فَمِنْهُمْ الْكَافِرُ، وَمِنْهُمْ الْفَاسِقُ، وَمِنْهُمْ الْعَاصِي، وَفِيهِمْ الْعَابِدُ الْجَاهِلُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُحِبُّ شَيْخًا فَيَتَزَيَّا فِي صُورَتِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا فُلَانٌ، وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي بَرِّيَّةٍ وَمَكَانٍ قَفْرٍ، فَيُطْعِمُ ذَلِكَ الشَّخْصَ طَعَامًا، وَيَسْقِيهِ شَرَابًا، أَوْ يَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، أَوْ يُخْبِرُهُ بِبَعْضِ الْأُمُورِ

---

(١) "مجموع الفتاوى" (١٦/ ٥٦٢).

الْوَاقِعَةِ الْغَائِبَةِ، فَيَظُنُّ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَنَّ نَفْسَ الشَّيْخِ الْمَيِّتِ أَوْ الْحَيِّ فَعَلَ ذَلِكَ، وَقَدْ يَقُولُ: هَذَا سِرُّ الشَّيْخِ، وَهَذِهِ رَقِيقَتُهُ، وَهَذِهِ حَقِيقَتُهُ، أَوْ هَذَا مَلَكٌ جَاءَ عَلَى صُورَتِهِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جِنِّيًّا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تُعِينُ عَلَى الشِّرْكِ، وَالْإِفْكِ، وَالْإِثْمِ، وَالْعُدْوَانِ. (١)

وقال -رَحِمَهُ اللَّهُ- في معنى الآية-: يَعْنِي: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ تَأْمُرْهُمْ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَمَرَتْهُمْ بِذَلِكَ الْجِنُّ؛ لِيَكُونُوا عَابِدِينَ لِلشَّيَاطِينِ الَّتِي تَتَمَثَّلُ لَهُمْ، كَمَا يَكُونُ لِلْأَصْنَامِ شَيَاطِينُ، وَكَمَا تَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ عَلَى بَعْضِ مَنْ يَعْبُدُ الْكَوَاكِبَ وَيَرْصُدُهَا حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْهِ صُورَةٌ فَتُخَاطِبُهُ. وَهُوَ شَيْطَانٌ مِنْ الشَّيَاطِينِ. (٢)

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا بيان أن المسيح وغيره من المخلوقين لا يملكون للناس ضرًا ولا نفعًا.(٣)

قوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فدل على أن العابد يصير وليًا للمعبود. (٤)

١() "المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية" (٦٥).

٢() "مجموع الفتاوى" (٤ / ١٣٥).

٣() الدر على الأخنائي" (٨٠)، "الحسنة والسيئة" (١/ ٥٧).

٤() "الجواب الكافي" (١/ ١٤٣)، و"إغاثة اللهفان" (٢/ ٢٤١).

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة].

قوله: ودليل الرسل.

أي: الدليل على أن من بعث فيهم النبي ﷺ منهم من يعبد الأنبياء والرسل.([1])

قوله: ﴿وَإِذْ﴾. قال ابن الجوزي

ولفظ الآية لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ لِمن ادّعى ذلك على عيسى زاد المسير (١/ ٦٠٥) وإذ هي بمعنى: إذا وفيها ثلاثة أقوال في زاد المسير.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: اختلف في وقت هذه المقالة، فقال قتادة وابن جريج وأكثر المفسرين: إنما يقال له هذا يوم القيامة. ([2])

فائدة:

---

[1] () "الحسنة والسيئة" (١/ ٥٧) لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

[2] () "تفسير القرطبي" (٦/ ٣٧٤)، وتكلم ابن القيم على هذا المسألة في بدائع الفوائد (١/ ٤٨)، ورجح ما ذكره القرطبي رحمهما الله.

إذ تأتي للماضي، وإذا تأتي للمستقبل، وقول الله لعيسى يكون يوم القيامة على الراجح، فاستعمل الماضي هنا -إذ- والمراد به المستقبل، وإذا تدل على أن ما بعدها يقع، ولكنه يقع يوم القيامة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ﴾ [سبأ:٥١]، أي: إذا فزعوا يوم القيامة.([1])

قوله: ﴿يَٰعِيسَى ﴾.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو سبحانه لم يحكِ هذا عن جميع النصارى، بل سأل المسيح سؤال يقرع به من اتخذ عيسى وأمه إلهين من دون الله.([2])

قوله: ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ ﴾.

هذا هو الشاهد على أن عيسى لم يكن راضيًا بعبادتهم إياه.

قوله: ﴿إِلَٰهَيۡنِ ﴾.

أي: مريم وعيسى، فأثبت أنهم اتخذوا مريم مع عيسى إلهين، والنصارى ينكرون هذا وهنا إشكال؟

فإن قيل: إن النصارى لم يتخذوا مريم إلها؟

فالجواب: أن هذا جوابا لما كان من قولهم: إنها لم تلد بشرًا، وإنما إلهًا، والبعضية حينئذٍ تتحتم أن يكون الخارج بعضًا من المخرج منه؛ لأن الولد بعضًا

---

[1] () "تفسير القرطبي".

[2] () "الجواب الصحيح" (٤/ ٢٥٦)، وانظر: "الصواعق المرسلة" (٢/ ٧١٩)، و"درء التعارض" (٢/ ٢٩٥)، و"روضة المحبين" (١/ ٤٢٩)، و"هداية الحيارى" (٢/ ٢٨٣).

من أمه، فتكون هي إلهًا مثل عيسى على قولهم. ([1])

قال القرطبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في جواب هذا-: فَإِنْ قِيلَ: فَالنَّصَارَى لَمْ يَتَّخِذُوا مَرْيَمَ إِلَهًا فَكَيْفَ قَالَ ذَلِكَ فِيهِمْ؟

فَقِيلَ: لَمَّا كَانَ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّهَا لَمْ تَلِدْ بَشَرًا، وَإِنَّمَا وَلَدَتْ إِلَهًا، لَزِمَهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِنَّهَا لِأَجْلِ الْبَعْضِيَّةِ بِمَثَابَةِ مَنْ وَلَدَتْهُ، فَصَارُوا حِينَ لَزِمَهُمْ ذَلِكَ بِمَثَابَةِ الْقَائِلِينَ لَهُ. ([2])

قوله: ﴿سُبْحَانَكَ﴾.

بدأ بتنزيه الخالق على نفسه؛ لأن الدفاع عن الخالق مقدم، وقد ذكر القرطبي أنه قال ذلك خضوعًا لعزته، وخوفًا من سطوته، وذكر ابن كثير أن هذا أدب الأنبياء.

قوله: ﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾.

لأن الألوهية ليست للبشر، فليس لي أن أدعي لنفسي ما ليس من حقها؛ ولأني مربوب وأنت الرب.

قوله: ﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦]؛ والمقصود

---

[1] () "تفسير القرطبي".

[2] () "تفسير القرطبي" (٦ / ٣٧٥) وذكر ابن الجوزي هذا عن أبي عبيدة في زاد المسير.

بيان الحكم على هذا التقدير: إن كنتُ قلتُهُ فأنت عالمٌ به وبما في نفسي. ([1])

الله عالم بكل شيئ؛ ولكن هذا تهديدًا للنصارى.

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧ ﴾ [الإسراء].

قوله: ودليل الصالحين.

أي: والدليل على عبادة فئام من الناس للصالحين من دون الله زمن النبي ﷺ.

قوله: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم ﴾.

هذه عامة في كل من دعا غير الله.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها إلا هو سبحانه دل على توحيده، وقطع شبهة من أشرك به. ([2])

قوله: ﴿ مِّن دُونِهِۦ ﴾.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون عزيرًا،

---

[1] () "النبوات" (١/ ١٨٠)، "اجتماع الجيوش الإسلامية" (١/ ٤٥)، "المدارج" (٢/ ٣٥٨).

[2] () "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ٢٣٢٦).

والمسيح، والملائكة؛ فأنزل هذه الآية، وقد أخبر فيها أن هؤلاء المتوسلين إليهم يتقربون إلى الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه. ([1])

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾.

أي: يدعونهم.

قوله: ﴿يَبۡتَغُونَ﴾.

أي: يطلبون من الله الزلفى، بخلاف الصوفية: يريدون الوسيلة من الصالحين؛ فتقربوا إليهم يطلبون منهم الحاجات، وهذا باطل.

قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾.

أي: هم بحاجة إلى ربهم، فكيف يطلب منهم؟، وكيف توجه العبادة لهم؟

قوله: ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: تَبَيَّنَ أَنَّ مَا يُدْعَى مِنْ دُونِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَغَيْرِهِمْ يُبْتَغَى بِهِ الْوَسِيلَةُ إِلَى اللهِ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ هُوَ الْإِلَهُ الْمَعْبُودُ الْحَقُّ، الَّذِي كُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ. اهـ ([2])

---

[1] () "الحسنة والسيئة" (١/ ١٥٣)، و"الاقتضاء" (٢/ ٣٦٢).

[2] () "منهاج السنة" (٣/ ٣٣١).

بخلاف غير الله، فإنهم عبدوا بالباطل.

قوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاء الوسيلة هو التقرب إليه بحبه، وفعل ما يحبه، ثم يقول: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، فذكر الخوف ... والرجاء، والمعنى: الذي تدعون من دون الله من الملائكة، والأنبياء، والصالحين، يتقربون إلى ربهم ...، فهم عبيده، كما أنكم أنتم وهم عبيده، فلماذا تعبدونهم من دونه، وأنتم وهم عبيد لله؟!.

والشاهد: أنهم كما تقربوا إلى آلهتهم فإن هذا ينطبق على أهل زماننا الذين يعبدون الأشجار، والأحجار، وهي أن الأشجار والأحجار، مخلوقة لله، كما أنكم والذين تدعونهم عبيد لله. ([1])

❊❊❊❊

[1] () "طريق الهجرتين" (١/ ٢٨٢).

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم].

قوله: ودليل الأشجار والأحجار.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا حَاصِلٌ فِي جَمِيعِ الْمُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّهُمْ مُتَفَنِّنُونَ فِي الْآلِهَةِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا وَإِنْ اشْتَرَكُوا فِي الشِّرْكِ؛ هَذَا يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَهَذَا يَعْبُدُ الْقَمَرَ، وَهَذَا يَعْبُدُ اللَّاتَ، وَهَذَا يَعْبُدُ الْعُزَّى، وَهَذَا يَعْبُدُ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى، فَكُلٌّ مِنْهُمْ يَتَّخِذُ إلَهَهُ هَوَاهُ، وَيَعْبُدُ مَا يَسْتَحْسِنُ. ([1])

قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾.

هذا استفهام إنكاري توبيخي.

قوله: ﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾.

هذه ثلاثة طواغيت: اللات لثقيف، والعزى لقريش وبني كنانة، ومناة لبني هلال.

قال ابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ: فكانت مناة لهذيل وخزاعة. ([2])

---

[1] () "درء التعارض"(١/ ٣٦)، و"مجموع الفتاوى" (٨/ ٢٥٨).

[2] () "السيرة" لابن هشام.

قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فَسَّرَهَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ الْكَلْبِيُّ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: هَذِهِ الْأَصْنَامُ بَنَاتُ اللَّهِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ طَائِفَةٌ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَقُولُونَ عَنْ هَذِهِ الْأَصْنَامِ إنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ، وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ عَنْ الْمَلَائِكَةِ. ([1])

قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم]، هذا أيضًا استفهام إنكاري على المشركين الذين يجعلون لله البنات ولهم البنين، فإذا ولد لهم الذكر فرحوا واستبشروا به، وإذا ولدت الأنثى ظل وجه الإنسان منهم مسودًا وهو كظيم، ومع ذلك يقولون: الملائكة بنات الله، فيجعلون البنات لله -والعياذ بالله- ولهم ما يشتهون. ([2])

ولشرح الحديث: يراجع "القول المفيد على كتاب التوحيد" (١/ ١٣٠).

****

---

[1] () "مجموع الفتاوى" (٢٧/ ٣٦٣-٣٦٤).

[2] () "القول المفيد على كتاب التوحيد" (١ / ١٢٨).

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ، عِنْدَهَا وَيُنَوِّطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالَ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ... الحَدِيثَ.

قوله: عن أبي واقد الليثي.

هو الصحابي الجليل: الحارث بن عوف بن أسيد بن جابر الليثي، أبو واقد قيل: إنه شهد بدرا كما شهد الفتح وحنين، وكان يحمل راية قومه، كما شهد تبوك، واليرموك، توفي رضي الله عنه سنة (٦٨هـ)، وقيل: (٨٥ هـ). ([1])

قوله: خرجنا مع النبي ﷺ.

قال عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريبا، فلذلك خفي عليهم هذا الشرك المذكور في الحديث بخلاف من تقدم إسلامه. ([2])

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في

---

[1] () "الإصابة في تمييز الصحابة" (٤/ ٢١٥-٢١٦)، ترجمة رقم: (١٢١١)، و"أسد الغابة" (٥/ ٣١٩-٣٢٠).

[2] () "كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين" (٦٥).

عبادة أوثانهم، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه، حتى يتبين له تأويل القرآن، ويعرف ما كرهه الله ورسوله، فلينظر سيرة النبي ﷺ، وأحوال العرب في زمانه، وما ذكره الأزرقي ([1]) في أخبار مكة، وغيره من العلماء.

ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم، ويسمونها ذات أنواط، فقال بعض الناس: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط، فقال: «**الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم**»، فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أعظم من ذلك! من مشابهتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟([2])

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: بعد غزوة الفتح؛ لأن النبي ﷺ لما فتح مكة تجمعت له ثقيف وهوازن بجمع عظيم كثير جدًا، فقصدهم ﷺ ومعه اثنا عشر ألفًا: ألفان من أهل مكة، وعشرة آلاف جاء بهم من المدينة، فلما توجهوا بهذه الكثرة العظيمة، قالوا: لن نغلب اليوم من قلة، فأعجبوا بكثرتهم، ولكن بيَّن الله أن

---

[1] () هو: محمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق، أحد الإخباريين وأصحاب السير، قال ابن النديم في الفهرست: (وله من الكتب: كتاب مكة وأخبارها وجبالها وأوديتها) ، وهو كتاب أخبار مكة الذي أشار إليه المؤلف هنا. توفي نحو سنة (٢٥٠) . انظر: الأعلام للزركلي (٦ / ٢٢٢) ، والفهرست لابن النديم (ص١٦٢) .

[2] () "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" (٢ / ١١٧).

النصر من عنده سبحانه، وليس بالكثرة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة]، ثم لما انحدروا من وادي حنين وجدوا أن المشركين قد كمنوا في الوادي، فحصل ما حصل، وتفرق المسلمون عن رسول الله ﷺ، ولم يبق معه إلا نحو مائة رجل، وفي آخر الأمر كان النصر للنبي ﷺ والحمد لله. (١)

قوله: ﴿حُنَيْنٍ﴾

هو اسم وادي شرق مكة، قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلًا من جهة عرفات معروف، قاتل فيه النبي ﷺ كما قال الله: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ [التوبة:٢٥]، وحصل في هذه الغزوة نصر للمسلمين. (٢)

فقوله: ونحن.

أي: بعض من كان معه من مسلمة الفتح، أي: قريب عهدنا بالكفر؛ لأنه ممن أسلم يوم الفتح، يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريبًا، فلذلك خفي عليهم

---

١ () "القول المفيد" (١/ ٢٠١).

٢ () "الفتح" (١٢/ ١٢٤)، و"البداية والنهاية" (٣/ ٢٩٦).

هذا الشرك، ولهذا اعتذروا مما صدر منهم.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك، وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة. ([1])

وقوله: حدثاء.

قال عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ: يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريبا، فلذلك خفي عليهم هذا الشرك المذكور في الحديث بخلاف من تقدم إسلامه.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثاء جمع حديث، أي: أننا قريبوا عهد بكفر، وإنما ذكر ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ للاعتذار لطلبهم وسؤالهم، ولو وقر الإيمان في قلوبهم لم يسألوا هذا السؤال. ([2])

وقال العلامة الفوزان -حفظه الله-: يعني: أن إسلامهم كان جديدًا متأخرًا، وهو يريد بذلك بيان العذر مما وقع منهم، أنهم كانوا جُهّالًا، لم يتفقّهوا كما كان الصحابة الذين مع الرسول ﷺ فقهاء، عرفوا العقيدة ودرسوها، لكن هؤلاء أسلموا قريبًا، ولم يتمكّنوا من التفقّه في العقيدة، وكانوا آلفين لأشياء من دين الجاهلية، لم يتخلّصوا منها بعد.

قال العلماء: فهذا فيه دليل على أن الإنسان إذا عاش في بيئة فاسدة ثم انتقل

---

[1] () "حاشية كتاب التوحيد" لابن قاسم (١٠/ ٣).

[2] () "القول المفيد على كتاب التوحيد" (١/ ١٣).

منها؛ أنه قد يبقى في نفسه منها شيء، فهذا كان في بيئة شركية، وأسلم قريبًا).

وهذا دليل على آفة الجهل، وأن الإنسان قد يقع في الشرك بسبب الجهل.

وفيه الحث على تعلم العقيدة ومعرفتها، والتبصّر فيها؛ خشية أن يقع الإنسان في مثل ما وقع فيه هؤلاء، فالذين ينادون اليوم بتهوين أمر العقيدة ويقولون: لماذا يدرسون العقيدة، وهم مسلمون؟ يا سبحان الله! المسلم هو أولى بدراسة العقيدة؛ من أجل أن يصحِّح إسلامه؛ ومن أجل أن يحفظ دينه، هؤلاء مسلمون ومع هذا وقعوا في هذه القضية؛ بسبب أنهم لم يتعلموا، ففي هذا دليل على وجوب تعلم العقيدة الصحيحة، ووجوب تعلّم ما يضادها من الشرك والبدع والخرافات؛ حتى يكون الإنسان على حذر منها، وما أوقع اليوم عُبّاد الأضرحة -أو كثير منهم- في عبادة القبور إلاَّ بسبب الجهل، ويظنون أن هذه من الإسلام، فهذه مصيبة عظيمة، حتى سمعنا أن بعض الدعاة يدعون -في أمريكا وفي غيرها- إلى دين الصوفية، وإلى دين القبوريّة، فهم أخرجوهم من كفر إلى كفر، وكونه يبقى على كفره، أخف من كونه ينتقل إلى كفر يسمّى باسم الإسلام. ([1])

قوله: سدرة.

أي: شجرة كانوا يتبركون بها، ويعبدونها، ويعتقدون فيها النفع والضر.

---

[1] () "إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد" (١ / ١٥٩).

قال العلامة الفوزان -حفظه الله-: المشركون كانت لهم سدرة، شجرة لهم فيها اعتقاد، واعتقادهم فيها يشمل ثلاثة أشياء:

الأول: أنهم كانوا يعظمونها.

الثاني: أنهم كانوا يعكفون عندها.

الثالث: أنهم كانوا ينوطون بها الأسلحة؛ رجاء نقل البركة من الشجرة إلى السلاح؛ حتى يكون أمضى؛ وحتى يكون خيره لحامله أكثر.

وفعلهم هذا شرك أكبر؛ لأنهم عظموها، وعكفوا عندها، والعكوف عبادة: وهو ملازمة الشيء على وجه التعظيم والقربة، والثالث أنهم طلبوا منها البركة، فصار شركهم أكبر لأجل هذه الثلاث مجتمعة. ([1])

قوله: يعكفون.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذا عكوف المشركين، وذاك عكوف المسلمين، فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له، وعكوف المشركين على ما يرجونه ويخافونه من دون الله. اهـ ([2])

قال عبد الرحمن بن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: ويعكفون أي: يلبثون ويقيمون عندها، ويعظمونها، والعكوف: هو البقاء واللبث والإقامة على الشيء في المكان؛ عبادة

---

[1] () "إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد" (١ / ١١٩).

[2] () "الاقتضاء" (٢/ ٣٥٧).

وتعظيمًا وتبركًا، وإنما عكفوا عندها؛ لما كانوا يأملونه فيها من البركة، كما يعكف عباد القبور اليوم. (١)

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: يقيمون عليها، والعكوف: ملازمة الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧]. (٢)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الشعراء]، أي: مقيمين على عبادتها ودعائها. (٣)

قوله: أنواط.

جمع نَوْطٍ: وهو مصدرٌ، سُمِّي به المنوطُ، سمِّيت بذلك؛ لكثرة ما يناط بها من السلاح؛ لأجل التبرك. (٤)

قال الشيخ صالح آل الشيخ: قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، ظنوا أن هذا لا يدخل في الشرك، وأن كلمة التوحيد لا تهدم بهذا الفعل، لهذا قال العلماء: قد يغيب عن بعض الفضلاء بعض مسائل الشرك؛ لأن الصحابة وهم

---

١ () "حاشية كتاب التوحيد" لابن قاسم (١٠ / ٣).

٢ ()"القول المفيد على كتاب التوحيد" (١ / ١٤٣).

٣ () "تفسير ابن كثير" (٦ / ١٤٦).

٤ () "الملخص في شرح كتاب التوحيد" (٩١).

أعرف الناس باللغة -كهؤلاء الذين كان إسلامهم بعد الفتح- خفيت عليهم بعض أفراد توحيد العبادة. ([1])

قوله: ينوطون.

أي: يعلقونها؛ طلبًا للبركة.

قال العلامة ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله تعالى مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به، ودعائه، والدعاء عنده، فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون.

قال بعض أهل العلم من أصحاب مالك: فانظروا -رحمكم الله- أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها، ومن له خبرة بما بعث الله تعالى به رسوله، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب، وأنهم على شيء، والسلف على شيء، كما قيل:

سارت مشرقة وسرت مغربًا ... شتان بين مشرق ومغرب

---

[1] () "التمهيد لشرح كتاب التوحيد" (١ / ١٧٣).

والأمر والله أعظم مما ذكرنا. ([1])

ولأبي شامة رَحِمَهُ اللَّهُ - كلام ماتع في هذا الموضوع- قال: قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ اللَّهُ: فانظروا -رحمكم الله- أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق فاقطعوها فهي ذات أنواط.

قلت: ولقد أعجبني ما صنعه الشيخ أبو إسحاق الجبيناني -رَحِمَهُ اللَّهُ- أحد الصالحين ببلاد أفريقية- في المائة الرابعة، حكى عنه صاحبه الصالح: أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب، أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية، كانت العامة قد افتتنوا بها، يأتونها من الآفاق من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت: امضوا بي إلى العافية فتعرف بها الفتنة، قال أبو عبد الله: فإنا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأسًا، قال: فما رفع لها رأس إلى الآن.([2])

قوله: فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط.

سألوه أن يجعل لهم شجرة مثلها؛ يتبركون بها؛ ويعلقون عليها أسلحتهم؛

---

[1] () "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٠٥).

[2] () "الباعث على إنكار البدع" (٢٦-٢٧).

ويعكفون عندها؛ ظنًا منهم أن هذا أمر محبوب عند الله؛ وأنه ﷺ لو جعل لهم مثل ذلك لجاز اتخاذها لحصول البركة، فطلبوه من النبي ﷺ، وإلا فهم أجل قدرًا من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ. ([1])

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ -في المسائل في كتاب التوحيد-: الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة، لقولهم: ونحن حدثاء عهد بكفر. ([2])

قال الفوزان -حفظه الله-: يعني: شجرة نعلّق بها أسلحتنا للبركة، ونجلس عندها للبركة. ([3])

قوله: الله أكبر.

أي: الله أعظم وأجل وأحق بطلب البركة منه، فالخلق خلقه، والأمر أمره، قالها النبي ﷺ استعظامًا وتعجبًا.

أي: الله أجل وأعظم، صيغة تعجب، وإن كان إجلالًا لله وتنزيها له عما لا يليق بجلاله وعظمته، ومما لا يليق بجلاله وعظمته: أن يتخذ شجرة، يطلب منها

---

[1] () "حاشية كتاب التوحيد" لابن قاسم (١٠ / ٤).

[2] () "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" (٨٩).

[3] () "إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد" (١/ ١٦٠).

البركة. (١)

قال الفوزان: قال ﷺ: «اللهُ أَكْبَر»، النبي ﷺ غضب لما قالوا له هذا الكلام وتعجّب، وكبّر الله -سبحانه وتعالى- تنزيهاً لله -عزّ وجلّ- عن هذا العمل، وهذه عادة النبي ﷺ أنه كان إذا أعجبه شيء، أو استنكر شيئًا أنه يسبح، أو يكبر. (٢)

وقال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: السادسة عشرة: الغضب عند التعليم، والحديث ليس بصريح في ذلك، وربما يؤخذ من قرائن. (٣)

قوله: السنن.

سنن، أي: طريق.

فالسَّنن -بالفتح-: الطريق، أما السُّنن-بالضم- فهي جمع: سُنَّة، وهي: الطرق، فمن قرأه سَنَن فالمراد به: الطريق، وهذا هو المشهور.

ومن قرأه سُنَن فالمراد به: جمع: سُنّة وهي: الطرق، والمعنى واحد. (٤)

قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس على ظاهره، بل هو عام مخصوص؛ لأننا لو أخذنا

١() "حاشية كتاب التوحيد" لابن قاسم (١٠/ ٤).

٢() "إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد" (١/ ١٦٠).

٣() "كتاب التوحيد".

٤() "إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد" (١ / ٣٢٨).

بظاهره كانت جميع هذه الأمة تتبع سنن من كان قبلها، لكننا نقول: إنه عام مخصوص؛ لأن في هذه الأمة من لا يتبع كما أخبر النبي ﷺ: أنه لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق.

وقد يقال: إن الحديث على عمومه، وأنه لا يلزم أن تتبع هذه الأمم الأمةُ السابقة في جميع سننها، بل بعض الأمة يتبعها في شيء، وبعض الأمة يتبعها في شيء آخر، وحينئذ لا يقتضي خروج هذه الأمة من الإسلام، وهذا أولى لبقاء الحديث على عمومه.

ومن المعلوم أن من طرق من كان قبلنا ما لا يخرج من الملة، مثل: أكل الربا، والحسد، والبغي، والكذب، ومنه ما يخرج من الملة: كعبادة الأوثان.

السنن: هي الطرائق، وهي متنوعة، منها ما هو اعتداء على حق الخالق، ومنها ما هو اعتداء على حق المخلوق، ولنستعرض شيئًا من هذه السنن.

فمن هذه السنن: عبادة القبور والصالحين، فإنها موجودة في الأمم السابقة، وقد وجدت في هذه الأمة، قال تعالى عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح].

ومن ذلك: الغلو في الصالحين، كما وجد في الأمم السابقة وجد في هذه الأمة.

ومنها: دعاء غير الله، وقد جاء في هذه الأمة.

ومنها: بناء المساجد على القبور موجود في السابقين، وقد وجد في هذه الأمة ... إلخ. ([1])

قوله: من كان قبلكم.

أي: من الأمم

ومن المؤسف اتباع جهال هذه الأمة طريق اليهود والنصارى كعبادة الطاغوت، وتفضيل أهل الباطل على أهل الحق، وتعظيم قبور الصالحين، وبناء المساجد عليها، والإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والإقبال على كتب البدع والضلال.

[1] () "القول المفيد" (١/ ٣١٣-٣١٤).

القاعدة الرابعة:

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة..

قوله: أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين.

تنبيه:

وهناك كلام آخر للمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (٢/ ٣٥): أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ إذا أصابهم الضر لم يجعلوا لله واسطة، بل يدعونه وحده مخلصين له الدين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الروم:٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان:٣٢]، الآية، وصلى الله على محمد.

وفي موضع آخر قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وهي أن الأولين يخلصون لله في الشدائد، وينسون ما يشركون، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت]، وأهل زماننا يخلصون

الدعاء في الشدائد لغير الله؛ فإذا عرفت هذا، فاعرف أن شرك المشركين الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ أخف من شرك أهل زماننا؛ لأن أولئك يخلصون لله في الشدائد، وهؤلاء يدعون مشائخهم في الشدة والرخاء. اهـ([1])

وقال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: إثبات أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين يشركون ويدعون الملائكة، والأولياء، والأوثان مع الله في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء:٦٧]، وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر:٨]، إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر]، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله، ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء

---

[1] () "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (٢/ ٣٩).

والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخًا، والله المستعان.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقربين عند الله، إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارًا، أو أحجارًا مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا، والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك. ([1])

قوله: أن مشركي زماننا.

بين الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه القاعدة أن مشركي زماننا في شركهم أوسع من شرك الأولين مما يتعجب منه الموحد، وهذا الذي حكاه الشيخ كان في القرن: (١٢هـ - ١٣هـ)، وأما في زماننا هذا فقد تعلقوا بقبور الأنبياء والصالحين أشد مما تعلق المشركون الأولون بأصنامهم؛ ولذلك تجدهم يقولون: لماذا تنكرون علينا؟! والشرك إنما هو في الأشجار، والأحجار، والأصنام.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن شرك هؤلاء وكفرهم في نفس التوحيد، وعبادة الله وحده، أعظم من شرك مشركي العرب وكفرهم. اهـ ([2])

---

[1] () "كشف الشبهات" (٢٧- ٢٨).

[2] () "الرد على المنطقيين" (١/ ١٠).

وقال حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا بِخِلَافِ مُشْرِكِي زَمَانِنَا الْيَوْمَ مِنْ عُبَّادِ الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّهُمْ يُشْرِكُونَ فِي الشِّدَّةِ أَضْعَافَ شِرْكِهِمْ فِي الرَّخَاءِ، حَتَّى إِنْ كَانُوا يُنْذِرُونَ لِهَذَا الْوَلِيِّ فِي الرَّخَاءِ بِبَعِيرٍ، أَوْ تَبِيعٍ، أَوْ شَاةٍ، أَوْ دِينَارٍ، أَوْ دِرْهَمٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَأَصَابَتْهُمُ الشِّدَّةُ، زَادُوا ضَعْفَ ذَلِكَ، فَجَعَلُوا لَهُ بَعِيرَيْنِ، أَوْ تَبِيعَيْنِ، أَوْ شَاتَيْنِ، أَوْ دِينَارَيْنِ، أَوْ دِرْهَمَيْنِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ فِيهِمْ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُمْ مُتَصَرِّفُونَ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ، وَغَلَا بَعْضُهُمْ حَتَّى جَعَلَ مِنْهُمُ الْمُتَصَرِّفَ فِي تَدْبِيرِ الْكَوْنِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِقْلَالِ، وَيَقُولُونَ فِيهِ: إِنَّهَا لَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ وَلَا تَسْكُنُ إِلَّا بِإِذْنِ فُلَانٍ، تَعَالَى اللهُ وَتَقَدَّسَ وَجَلَّ وَعَلَا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ، أَوْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، أَوْ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

([1])

---

[1] () "معارج القبول بشرح سلم الوصول" (٢ / ٤٨٥).

وإليك بعض صور زيادة شرك مشركي زماننا على شرك الأولين، من كلام حفيد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الشيخ سليمان بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعباد القبور نطقوا بها وجهلوا معناها وأبوا عن الإتيان به، فصاروا كاليهود الذين يقولونها ولا يعرفون معناها ولا يعملون به، فتجد أحدهم يقولها وهو يأله غير الله بالحب والاجلال، والتعظيم والخوف، والرجاء والتوكل، والدعاء عند الكرب، ويقصده بأنواع العبادة الصادرة عن تأله قلبه لغير الله مما هو أعظم مما يفعله المشركون الأولون.

ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله تعالى أعطاك ما شئت من الإيمان صادقًا أو كاذبًا، ولو قيل له احلف بحياة الشيخ فلان، أو بتربته، ونحو ذلك لم يحلف إن كان كاذبًا؛ وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أعظم في قلبه من رب الأرباب، وما كان الأولون هكذا، بل كانوا إذا أرادوا التشديد في اليمين حلفوا بالله تعالى، كما في قصة القسامة التي وقعت في الجاهلية -وهي في "صحيح البخاري"-

وكثير منهم وأكثرهم يرى أن الاستغاثة بإلهه الذي يعبده عند قبره أو غيره أنفع وأنجح من الاستغاثة بالله في المسجد، ويصرحون بذلك، والحكايات عنهم بذلك فيها أطول، وهذا أمر ما بلغ إليه شرك الأولين، وكلهم إذا أصابتهم الشدائد أخلصوا للمدفونين في التراب، وهتفوا بأسمائهم، ودعوهم ليكشفوا ضر

المصاب في البر والبحر، والسفر والإياب، وهذا أمر ما فعله الأولون، بل هم في هذه الحال يخلصون للكبير المتعال، فاقرأ قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]، الآية، وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل].

وكثير منهم قد عطلوا المساجد، وعمروا القبور والمشاهد، فإذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه أخذ في دعاء صاحبه باكيًا خاشعًا ذليلًا خاضعًا، بحيث لا يحصل له ذلك في الجمعة والجماعات، وقيام الليل، وإدبار الصلوات، فيسألونهم مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، والنجاة من النار، وأن يحطوا عنهم الأوزار، فكيف يظن عاقل فضلًا عن عالم أن التلفظ بلا إله إلا الله مع هذه الأمور تنفعهم، وهم إنما قالوها بألسنتهم وخالفوها باعتقادهم وأعمالهم، ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق أيضًا بشهادة أن محمدًا رسول الله ولم يعرف معنى الإله، ولا معنى الرسول، وصلى، وصام، وحج، ولا يدري ما ذلك إلا أنه رأى الناس يفعلونه فتابعهم، ولم يفعل شيئًا من الشرك؛ فإنه لا يشك أحد في عدم إسلامه.

وقد أفتى بذلك فقهاء المغرب كلهم -في أول القرن الحادي عشر، أو قبله- في شخص كان كذلك، كما ذكره صاحب "الدر الثمين في شرح المرشد المعين" من المالكية، ثم قال شارحه: وهذا الذي افتوا به جلي في غاية الجلاء، لا يمكن إن

يختلف فيه اثنان. انتهى.

ولا ريب إن عباد القبور أشد من هذا؛ لأنهم اعتقدوا الإلهية في أرباب متفرقين. ([1])

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: أَكْثَرِ مُشْرِكِي الْعَالَمِ، بَلْ كُلُّهُمْ يُحِبُّونَ مَعْبُودَاتِهِمْ، وَيُعَظِّمُونَهَا، وَيُوَالُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ -بَلْ أَكْثَرُهُمْ- يُحِبُّونَ آلِهَتَهُمْ أَعْظَمَ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِذِكْرِهِمْ أَعْظَمَ مِنِ اسْتِبْشَارِهِمْ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ، وَيَغْضَبُونَ لِمُنْتَقِصِ مَعْبُودِيهِمْ وَآلِهَتِهِمْ -مِنَ الْمَشَايِخِ- أَعْظَمَ مِمَّا يَغْضَبُونَ إِذَا انْتَقَصَ أَحَدٌ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَإِذَا انْتُهِكَتْ حُرْمَةٌ مِنْ حُرُمَاتِ آلِهَتِهِمْ وَمَعْبُودَاتِهِمْ غَضِبُوا غَضَبَ اللَّيْثِ إِذَا حَرِدَ، وَإِذَا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللهِ لَمْ يَغْضَبُوا لَهَا، بَلْ إِذَا قَامَ الْمُنْتَهِكُ لَهَا بِإِطْعَامِهِمْ شَيْئًا رَضُوا عَنْهُ، وَلَمْ تَتَنَكَّرْ لَهُ قُلُوبُهُمْ.

وَقَدْ شَاهَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْهُمْ جَهْرَةً، وَتَرَى أَحَدَهُمْ قَدِ اتَّخَذَ ذِكْرَ إِلَهِهِ وَمَعْبُودِهِ مِنْ دُونِ اللهِ عَلَى لِسَانِهِ دَيْدَنًا لَهُ إِنْ قَامَ وَإِنْ قَعَدَ، وَإِنْ عَثَرَ، وَإِنْ مَرِضَ، وَإِنِ اسْتَوْحَشَ، فَذِكْرُ إِلَهِهِ وَمَعْبُودِهِ مِنْ دُونِ اللهِ هُوَ الْغَالِبُ عَلَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَهُوَ لَا يُنْكِرُ ذَلِكَ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ بَابُ حَاجَتِهِ إِلَى اللهِ، وَشَفِيعُهُ عِنْدَهُ، وَوَسِيلَتُهُ إِلَيْهِ. ([2])

---

[1] () "تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد" (٥٩-٦٠).

[2] () "مدارج السالكين" (١/ ٣٣٩)، وللمزيد انظر: "فتاوى اللجنة الدائمة" (١/ ٦٥)، و"فتاوى العثيمين" (٩/ ٢٧٤)، و"فتاوى إسلامية" (١/ ١٥٤).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت].

وزاد كما في "الدرر السنية في الأجوبة النجدية" (٢ / ٢٦): فعلى هذا: الداعي عابد، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقاف]، والله سبحانه أعلم، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وهؤلاء كلهم قد تكون نفس أرواحهم ملتفتة عن الله سبحانه، معرضة عنه إلى مألوف طبيعي نفساني قد حال بينها وبين إنابتها بذاتها إلى معبودها وإلهها الحق، فهي ملتفتة إلى غيره، ولها إليه إنابة ما، بحسب إيمانها به، ومعرفتها له. ([1])

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَعْبُدْ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُشْرِكًا عَابِدًا لِغَيْرِ اللهِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عَابِدٌ لِلشَّيْطَانِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إمَّا عَابِدٌ لِلرَّحْمَنِ، وَإِمَّا عَابِدٌ لِلشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ

[1] () "طريق الهجرتين" (٢٧٣-٢٧٤).

﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾ [الزخرف]. ([1]).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فعبادة المشركين وإن جعلوا بعضها لله لا يقبل منها شيء، بل كلها لمن أشركوه، فلا يكونون قد عبدوا الله سبحانه. ([2])

قال المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدرر السنية-: قوله: ﴿مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

هذا رد على المشركين الذين يزعمون أن القبور تجلب الخير، وتدفع الشر، فالله نفى عنهم الاستجابة؛ لعجزهم.

وفيه الرد على من أدعى أن شرك المشركين إنما هو عبادة الأصنام.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾ [الأحقاف:٥] أي: لا أحد أضل منه ولا أجهل؛ فإنه دعا من لا يسمع، فكيف يطمع في الإجابة فضلًا عن جلب نفع، أو دفع ضرّ؟ فتبين بهذا أنه أجهل الجاهلين، وأضلّ الضالين، والاستفهام للتقريع والتوبيخ، وقوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [الأحقاف:٥]: غاية لعدم الاستجابة، ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ ﴾ [الأحقاف]: الضمير الأوّل للأصنام، والثاني لعابديها، والمعنى: والأصنام التي يدعونها عن دعائهم إياها غافلون عن ذلك، لا يسمعون ولا يعقلون؛ لكونهم جمادات،

---

[1] () "دقائق التفسير" (٢/ ١١٨)، و"مجموع الفتاوى" (١٤/ ٢٨٤).

[2] () "الفتاوى" (٨/ ٥).

والجمع في الضميرين باعتبار معنى (من)، وأجري على الأصنام ما هو للعقلاء؛ لاعتقاد المشركين فيها أنها تعقل. ([1])

فائدة:

قوله: ﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف:٦]، فدلت أيضًا أن دعاء غير الله عبادة، وأن الداعي له في غاية الضلال، وفي الآية أنهم يعاملون بنقيض قصدهم؛ لأنهم يتبرؤون منهم يوم القيامة. للمزيد انظر كتاب الفوائد لابن القيم. ([2])

تنبيه:

قوله: **وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّة.**

وقال المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ- في أحد كتبه-: واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار زمن النبي ﷺ بأنهم يدعون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريج الكربات، وقضاء الحاجات. ([3])

هذا يدل على شدة توسع الشرك في هذه الأزمنة التي ينبغي فيها للموحد أن يجد في الدعوة إلى الله، وألا ييأس، بل يستمر في الدعوة إلى أن يتوفاه الله.

****

---

[1] () "فتح القدير" (٦ / ٤٤٩).

[2] () "الفوائد" (٥٣).

[3] () "تاريخ ابن غنام (٢/ ٩٩)، منهاج التأسيس (٥٠-٥).

تَمَّتْ، وَّصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قوله: وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

أي: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، كما جاء عن أبي العالية في البخاري معلقًا.

قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صحيح عن أبي العالية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ [الأحزاب:٥٦]، قال: صلاة الله -عز وجل- عليه: ثناؤه عليه، وصلاة الملائكة عليه: الدعاء. ([1]) قال العلماء: معنى صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه عند ملائكته. ومعنى صلاة الملائكة عليه: الدعاء له والاستغفار. ومعنى صلاة الآدميين: الدعاء والتعظيم لأمره راجع أصل صفة الصلاة للألباني رحمه الله

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا هو المشهور الجاري على ألسنة الجمهور. ([2])

وحكاة السخاوي عن جماعة من العلماء. ([3])

قوله: محمد.

هذا هو أشهر أسمائه ﷺ.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أهل اللغة: يقال رجل محمد، ومحمود: إذا كثرت

[1] () "تحقيق فضل الصلاة على النبي ﷺ" (٧٩).

[2] () "لوامع الأنوار" (١/ ٤٦).

[3] () "القول البديع" (٩-١٠).

خصاله المحمودة ثم نقل عن فارس فقال . ([1])

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: وبذلك سمى نبينا ﷺ محمدًا، يعني: لعلم الله تعالى بكثرة خصاله المحمودة ألهم أهله التسمية. ([2])

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: فصل في أسمائه ﷺ: وكلها نعوت ليست أعلامًا محضة لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال، فمنها محمد، وهو أشهرها، وبه سمي في التوراة صريحًا كما بيناه بالبرهان الواضح في كتاب "جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام"...، والمقصود أن اسمه محمد في التوراة صريحًا بما يوافق عليه كل عالم من مؤمني أهل الكتاب.

ومنها: أحمد، وهو الاسم الذي سماه به المسيح؛ لسر ذكرناه في ذلك الكتاب.

ومنها: المتوكل.

ومنها: الماحي، والحاشر، والعاقب، والمقفي، ونبي التوبة، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة، والفاتح، والأمين.

ويلحق بهذه الأسماء: الشاهد، والمبشر، والبشير، والنذير، والقاسم، والضحوك والقتال، وعبد الله، والسراج المنير، وسيد ولد آدم، وصاحب لواء

---

[1] () "شرح النووي على مسلم" (٤/ ١١٧).

[2] () "شرح النووي على مسلم" (٤/ ١١٧).

الحمد، وصاحب المقام المحمود، وغير ذلك من الأسماء؛ لأن أسماءه إذا كانت أوصاف مدح فله من كل وصف اسم، لكن ينبغي أن يفرق بين الوصف المختص به أو الغالب عليه ويشتق له منه اسم، وبين الوصف المشترك فلا يكون له منه اسم يخصه، وقال جبير بن مطعم: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء فقال: «**أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، والعاقب الذي ليس بعده نبي**» أخرجاه في الصحيحين

لشرح هذه أسماء يراجع زاد المعاد.

وأسماؤه ﷺ نوعان:

أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، والمقفي، ونبي الملحمة.

والثاني: ما يشاركه في معناه غيره من الرسل، ولكن له منه كماله فهو مختص بكماله دون أصله، كرسول الله، ونبيه، وعبده، والشاهد، والمبشر، والنذير، ونبي الرحمة، ونبي التوبة.

وأما إن جعل له من كل وصف من أوصافه اسم تجاوزت أسماؤه المائتين كالصادق، والمصدوق، والرؤوف الرحيم، إلى أمثال ذلك، وفي هذا قال من قال من الناس: إن لله ألف اسم، وللنبي ﷺ ألف اسم. قاله أبو الخطاب بن دحية،

ومقصوده الأوصاف. ([1])

قوله: وعلى آله.

قال الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ: الآلُ: أَهْلُ الرَّجُلِ وعِيالُه.أَيْضا: أَتْباعُه وأَولِياؤُه، اهـ([2])

وهم الذين تحرم عليهم الصدقة، وهناك أقوال أخرى. ([3])

وأوسع من تكلم على هذا ابن القيم في "جلاء الأفهام" (٢١٠)، ويراجع "أحكام القرآن" لابن العربي (٣/ ٥٣٥).

قوله: وسلم.

هذا دعاء عام من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ للنبي ﷺ وآله وصحبه، أن يسلمهم الله عملًا بقول الله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال النَّوَوِيُّ: إِذَا صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلْيَجْمَعْ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، فَلَا يَقْتَصِرُ عَلَى أَحَدِهِمَا، فَلَا يَقُولُ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ فَقَطْ، وَلَا :عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَطْ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مُنْتَزَعٌ مِنْ هَذِهِ الآية الْكَرِيمَةِ، وَهِيَ قَوْلَهُ: ﴿

---

[1] () "زاد المعاد" (١ / ٨٤).

[2] () "تاج العروس" (٢٨ / ٣٥)

[3] () "شرح مسلم" عند حديث رقم: (٤٠٥). و"شرح الواسطية" للعلامة العثيمين (١/ ٤٧).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]، فَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا. اهـ (1)

وهناك فائدة في بدائع الفوائد في السر في البداءة بالسلام والانتهاء بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فراجعها إن شئت في البدائع (٢/ ٣٦١).

والحمد لله رب العالمين.

شرح في دار الحديث بالحامي

وراجعته بمكتبة شيخنا يحيى الحجوري

دار الحديث بالعمود

حرس الله دور الحديث

٢/ من ذي الحجة/ ١٤٤٢هـ

---

(1) "تفسير بن كثير" (٦/ ٤٧٩).

المحتويات

مقدمة الشيخ أبي بلال الحضرمي ٤
المقدمة:..... ٥
نصائح لإتقان الدروس..... ١١
كلمة شكر..... ١٢
ترجمة المؤلف..... ١٥
اسمه:..... ١٥
مولده ونشأته:..... ١٥
طلبه للعلم:..... ١٥
مراحل دعوته:..... ١٦
مؤلفاته:..... ١٧
الجانب العلمي في كتابات الشيخ:..... ١٧
أولاده:..... ١٩
أحفاده:..... ١٩
وفاته:..... ١٩
متن القواعد الأربع..... ٢٠
القاعدة الأولى:..... ٢١

القاعدة الثانية:..... ٢١
القاعدة الثالثة:..... ٢٢
القاعدة الرابعة:..... ٢٣
شرح العنوان ٢٤
سبب تأليف القواعد الأربع:..... ٢٥
هل تقال البسملة في الشعر؟..... ٢٨
فائدة: **الدعاء على أربعة أوجه**:..... ٣٥
معنى اسم الله الكريم في حق الله عز وجل: ٣٨
❐ هل تربية الله أكمل من تربية غيره؟ ٣٩
تربية الله على نوعين: ٤٠
❐ هل يقال رب لغير الله؟..... ٤٠
❐ هل العرش هو الكرسي؟..... ٤١
❐ كيف تجلب الولاية؟ ٤٢
❐ تفاضل الناس في ولاية الله ٤٣
فائدة: **ولاية الله على نوعين**:..... ٤٤
ما حقيقة البركة؟..... ٤٦
البركة تنقسم إلى قسمين:..... ٥٠

نصيحة جميلة:..... ٥٢
❐ ما هو أفضل العطاء؟..... ٥٤
عطاء الله على قسمين:..... ٥٤
تعريف الشكر ٥٥
القواعد التي يقوم عليها الشكر:..... ٥٦
الشكر خلاصة العبودية:..... ٥٨
أصل الشكر: ٥٨
حقيقة الشكر: ٥٨
مقامات الدين كلها تدخل في الصبر..... ٦١
العلاقة بين الشكر والصبر:..... ٦٣
❐ هل إخبار المريض للطبيب بما فيه ينافي الصبر؟ ٦٣
❐ هل التشكي ينافي الصبر؟ ٦٤
❐ مسألة: أيهما أفضل الصبر على الطاعة، أم الصبر عن المعصية؟ ٦٥
الصبر على ثلاثة أنواع:..... ٦٦
فائدة: **الأسباب المعينة على الصبر لمن ابتلي:**..... ٦٦
تعريف التوبة: ٦٩
أيهما أنفع للعبد التسبيح أم الاستغفار؟..... ٧٠

❐ مسألة: ما هو الاستغفار؟ ٧٠
❐ لماذا حصر الشيخ هذه الثلاث؟ ٧١
تعريف الرشد: ٧٤
❐ ما الفرق بين الرشد والهدى؟ ٧٤
❐ الفرق بين الطاعة والعبادة؟ ٧٦
❐ مسألة: كيف تعرف الحنيفية؟ ٧٧
❐ ما هو الحنيف عند العرب؟ ٧٨
من خصائص إبراهيم: ٨٠
❐ لماذا نسبت الملة لإبراهيم وخص بها؟ ٨٠
والعبادة على معنيين في القرآن: ٨٢
❐ كيف تعرف العبادة؟ ٨٦
❐ حكم العمل بغير الإخلاص؟ ٨٨
من آثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في الإخلاص. ٨٨
فوائد الإخلاص ٨٩
أقسام التوحيد: ٩٥
فائدة: **أحوال المصلين**: ٩٧
فائدة: معاني كلمة الطهارة في القرآن الكريم: ١٠١

حكم من صلى بغير طهارة مستحلا:.....١٠٢
الشرك ينقسم إلى قسمين:.....١٠٣
أقسام الشرك مع تعريفهما:.....١١٣
فائدة: الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:.....١١٥
فائدة: من معاني كلمة الفساد في القرآن الكريم:.....١١٧
فائدة: في حبوط الأعمال.....١١٩
مسألة: قوله تعالى: ﴿أَن يُشْرَكَ﴾، هل هو في حق الشرك الأصغر، أو الأكبر؟ أو تعم هنا؟.....١٢٣
القاعدة الأولى:.....١٢٧
القاعدة الثانية:.....١٤٢
الشفاعة ملك لله:.....١٤٥
فائدة: الفرق بين الشفاعة الشرعية، والشفاعة الشركية:.....١٤٥
أركان الشفاعة أربعة:.....١٥٠
والشفاعة على قسمين:.....١٥٠
والشفاعة الدنيوية على قسمين:.....١٥٠
شروط الشفاعة المشروعة:.....١٥٠
موانع الشفاعة:.....١٥١

أقسام الوسائط:.....١٥٣
القاعدة الثالثة:.....١٥٨
فائدة جميلة:.....١٦٦
القاعدة الرابعة:.....٢٠١
المحتويات.....٢١٦